

النبراس
مجموعة قصص
أحمد رمضان

إهداء: إلى العجوز الذي لم أستطع تطبيق عليه قانون الحظر
أثناء خدمتي العسكرية، إلى مَنْ خالف القانون يومياً لأنه كان
بِصُحبة زوجته التي ملت مِنَ المَكوث في المنزل فقرر أن
يُصطحبها في نُزهة، إلى ذاك العجوز أنتَ ما يُسمى بِروح
القانون ..

مقدمة: كان من المُمكن أن أضع مُقدمة تُجذب القُراء -وَمُمكن
في ذلك- ولكني لا أتبع هذا الإسلوب، رغم أنني قد أتبعته من
قبل، وكُنْتُ مُضطر لذلك .
ليس بِتناقض، يُمكنك أن تقل عليها صراحة من نوع آخر ولكن
صدقني لن تخرج من هنا كما كُنْتُ تماماً.

ولیکن شعارنا طيلة الفترة المقبلة هو مَنْ أَرَادَ قَلْبَ صَافِيَاً، فَلَا

يَلْتَفِتُ لِلشَوَائِبِ..

الجزء الأول.

1 مُقْبَلٌ عَلَى الْإِنْتِحَارِ

- بينما كُنْتُ أَحَاوِلُ الْإِنْتِحَارَ كَانَ هُنَاكَ شَخْصٌ يَقِفُ فِي الشَّرْفَةِ الْمُقَابِلَةِ لِمَنْزَلِي وَعِنْدَمَا رَأَيْتُ أَعْلَى سُورِ شُرْفَتِي، لَوْحٌ لِي بِيَدِهِ كِي الْأَحْظُ وَجُودِهِ، الْمَسَافَةُ كَانَتْ بَعِيدَةً بَيْنَ الشَّرْفَتَيْنِ فَلَمْ أَكُنْ أَسْتَطِيعُ سَمَاعَهُ فَأَشَارَ بِيَدِهِ كِي أَنْتَظِرُ، دَخَلَ ثُمَّ أَحْضَرَ لَوْحَهُ كَبِيرَةً مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا رَقْمُ هَاتِفِهِ وَكَتَبَ أَسْفَلَهَا جُمْلَةً لَنْ أَنْسَاهَا أَبَدًا : " إِذْ لَمْ تَتَّصِلْ بِي، صَدَقْنِي سَأَقْفِرُ خَلْفَكَ وَعَائِلَتِي تَنْتَظِرُنِي بِالْإِدَاخِلِ لِلْغَدَاءِ "، نَزَلْتُ لِإِحْضَارِ الْهَاتِفِ مِنَ الْإِدَاخِلِ كِي أَتَّصِلَ بِهِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرُدْ عَلَيَّ، أَسْرَعْتُ بِالْخُرُوجِ لِلشَّرْفَةِ وَلَكِنِّي لَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ مَجْمُوعَةً مِنَ اللَّوْحِ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: " أَعْلَمُ بِأَنَّي قَدْ خَذَلْتُكَ، عَادَةً مَا يُسَلِّمُ الشَّخْصُ نَفْسَهُ إِلَى الْإِلَاشِيءِ وَتَلْكَ هِيَ مَرْبُطُ الْفَرَسِ "، " إِيَّاكَ وَالْإِتْكَاءَ الْمُزِيْفِ، مِنْ أَيْنَ أَتَتْ لَكَ كُلُّ تِلْكَ الثَّقَةِ كِي تَتَّقَ فِي شَخْصٍ لَا تَعْرِفُهُ "، " صِرَاحَةً رَائِحَةً طَعَامِ زَوْجَتِي أَغْرَانِي أَكْثَرَ مِنْ مَشَاهِدَةِ رَجُلٍ أَبْلَهُ يَسْقُطُ، رَجُلٍ كَسُولٍ وَفَاشِلٍ لَا يَقْدِرُ حَتَّى عَلِي فَتَحَ بَابَ مَنْزِلِهِ عِنْدَ الطَّرْقِ " رَمِيَتْ هَاتِفِي مِنْ شِدَّةِ غِيْظِي كِي يَسْقُطُ أَرْضًا وَيَتَحَطَّمُ كَقَلْبِي تَمَامًا عِنْدَمَا رَحَلَتْ عَنِّي أَحَدَهُمْ، وَمِنْ ثَمَّ صَعَدْتُ إِلَى سُورِ الشَّرْفَةِ مَرَّةً أُخْرَى لِأَجْدَ بَابَ مَنْزَلِي وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ مِنْذُ فَتْرَةِ

يُطرق، نظرتُ علي اللوحة وقررت إثبات عكس هذا الكلام
الوقح، نزلتُ للمرة الثانية كي أفتح الباب لأجده صاحب الشرفة
المُقابلة، لم أكن أصدق إطلاقاً ولا أعرف حتى ماذا أقول، فبدء
هو بالحديث : يا سيدي تقول زوجتي بأنني شخص مُنعزل
وبخيل لا يدعو أصدقائه للغداء معه، فأرجوكِ تعاليّ معي
لتناول الغداء سوياً كي أثبت عكس حديثها عليّ وسأعطيكِ كُل
ما تُريد وسأترككِ تفعل ما شئتِ. بدلتُ ملابسي وذهبتُ معه،
وعندما فتحت زوجته الباب قد هلع أبنائه بين أحضانه، في
نظره رائعة من الزوجة تُنسيكِ كُل شيء، كان منزله أقل فخامة
من منزلي، كان لديه ثلاثة أطفال، زوجته تعاني من مرض
الغضروف لاحظت ذلك عندما كان يُساعدها في إحضار كُل
شيء، عرفتُ مؤخراً أنهم من أسرة تتبع الدين الإسلامي الذي
أقرأ دائماً عنه بأنه دين الإرهاب والحرب، لم أكن أعلم أين
الإرهاب في تلك الأسرة البسيطة والجميلة؟، فحُبهم لبعضهم
البعض لا يدل علي ما قرأته، تعاملهم معي فور دخولي من
الباب لم يكن يدل علي حرب!، عُدت للمنزل في محاولة لفهم
كُل تلك الأحداث هذا الرجل الإرهابي قد حاول مُساعدتي رغم
أنني أتبع دين غير دينه، ساعدني ولم يكن ينتظر مُقابل، أظنه
أكثر شخص ذكاء قابلته في حياتي، فحيلة أنه يريد الاتصال بي
كي أنزل وأبحث عن الهاتف كانت حيله مُبتكرة كي يؤخر
الوقت كي يأتي إليّ، وحُجة أنه شخص مُنعزل وبخيل كانت
كذبة هي الأخرى فهاتفه طيلة الساعة التي قضيتها معه رن

سَبَع مرات تقريباً وهو ليس بخيل فالشخص البخيل لا يُحبه
أطفاله وهو ليس كذلك، وعلمت بأن تكوين أسرة شيء أفضل
بكثير من الجلوس مُنفرداً، قُمت بتشغيل حاسوبي وكتبتُ علي
موقع التواصل الاجتماعي : " أحدهم جعلني أتراجع عن
قراري الانتحاري بطريقة أعجبتني للغاية، جعلني أري الحياة
بشكل مُختلف كما أنه جعلني أتعلم أكثر في قراءة الكُتب
الدينية، أشكر كثيراً يا إلهي فأنا قد أحببتُ الإرهاب إن كان
مِثلك ..

2 ليس كل بلاء عاقبة

- أسير في الطريق ومصائب العالم أجمعه تستكين في قلبي الصغير، عادةً ما أتمشى وعيني تُتابع وجوه الأشخاص بترقب، فكل منا حكاية وقصة يصعب العالم بأكمله عن فهمها، لفت نظري سيدة عجوز تبلغ من العمر سبعون عام تقريبا تجلس علي الأرض وتبكي كما أن فيها مُلّطخ بالدماء يبدو أنها تُعاني من التهاب رئوي حاد، الأشخاص ينفرون من القرب منها ولم أكن أعلم السبب الحقيقي وراء ذلك، اقتربت أكثر كي أتمكن من الرؤية ليمسك بيدي شب ثلاثيني ثم قال لي : إياك والاقتراب منها فهي تُعاني من ذلك المرض المشهور !

الأشخاص يقفون وينظرون عليها وكأنها فقرة لساحر وينتظرون وفاتها ! كي يُصفق الجميع ويحاكون فيما بينهم أنهم قد رأوا عجوز تحتضر وتموت بسبب ذلك الفيروس !، أطحتُ بيد الشاب بعيد كي أستطع الوصول لتلك العجوز وفور وصولي لها صرخت فيّ بشكل هستيري، إبتعد، إبتعد أيها الأحمق سينقل المرض لك أنت أيضاً، لم يُعنيني حديثها وصراخها لي بشيء، أمسكتُ بيدها وربتُ عليها في حين أنها كانت ترتعش، ترتجف من الخوف وتُحاول إبعادي عنها، حقيقةً

أنا لم يُشغل بالي أن ينتقل لي المرض إطلاقاً فأنا لا أحب الحياة
كما أنني حاولتُ أكثر من مرة الانتحار وفشلت لأنني شخص
جبان وفاشل في كل شيء، فلو كان هذا انتحار من نوع آخر
فأنا أعشقه، يكفيني أن تلك العجوز - وحتى لو موتنا سوياً -
ستتذكر بأن هنالك شخص واحد لم يكتفي بالمشاهدة وحاول
المساعدة، أخذتها بين أحضاني رغم مُحاولتها المُستمرة في
إبعادي ومن ثم همستُ في أذنها : سيكون كل شيء علي ما
يُرام لا تقلقي فأنا بجانبك، لم أري ملامحها لأن وجهها مُغطي
في صدري ولكني أقسم بأنني شعرتُ بأنها تبتمس، أخرجت
هاتفي واتصلت بالإسعاف ليأتوا وحدث كما توقعت بالضبط
أخذونا سوياً إلي المصحة، لم أكن أعلم هل أنه من حُسن حظي
أم من حُسن حظ تلك العجوز أن نُعزل في عُرفة واحدة ولكني
كُنت سعيد جداً بذلك، ولن أخفيكم سراً قد بدأ القلق يضرب قلبي
وبشده ليس خوفاً من الموت إطلاقاً ولكني قلقْتُ عندما تذكرتُ
أسرتي، أن تكون سبب في مرض شخص عزيز عليك شيء
في مُنتهى الألم، وأن تكون سبب في حُزن أسرتك مدى الحياة
شيء في مُنتهى القسوة، بدأ الأطباء في الإجراءات اللازمة لي
ولها بالطبع، جلسنا سوياً قُرابة العشرون يوم وجاء طبيب بخبر
جعلني في غاية السعادة لقد شُفيت العجوز ويمكنها الخروج،
نظرتُ للطبيب وكأنني أنتظر أن يقول لي نفس الخبر ولكنه لم
يفعل ! أمازلتُ مريضا ؟ هل تمكن المرض مني بتلك الدرجة ؟
أنتظر الطبيب خروج العجوز ثم أقدم عليّ بخطوات ثقيلة

بخطوات أعرفها تماما تلك هي خطوات الموت خطوات اليأس
والعجز واللا حيلة، لقد أخبرني بأنني يجب أن أخضع للتدخل
جراحي في الرئة ! لم تكُن معلوماتي عند هذا المرض كفاية،
عادةً لا أحب القراءة والبحث في شيء يُسبب الموت - رغم
أنني لا أخاف الموت - ولكن الذي أعرفه بأن التدخل الجراحي
لا يُمكنه أن يشفي هذا المرض وبالفعل وكأن الطبيب يؤكد
اعتقادي ليُقل : هُنالك ورم سرطاني في رئتكَ ! ويجب أن
تخضع للتدخل الجراحي لاستئصاله، صدقني نسبة نجاح العملية
تتجاوز التسعين في المائة فالورم في بدايته ومجيبك إلينا جعلنا
نكتشفه في أولى مراحلهِ، مسحت بيدي ما نزل من عيني من
دموع لأقل له وها أنا جاهز لتلك العملية، أكتب لكم رسالتي هذه
وأنا بين أحضان أسرتي وأشكر هذا الموقف الذي جعلني أحب
الحياة كما أنه جعلني أدرك معني جُملة " ليس كُلُّ بلاء عُقوبة
!...

3 هديل العظيمة

- لقد أحببتي فتاة من ذوي القدرات الخاصة، والغريب أنني لم أعرف أنها كذلك إلا بعدما أحببتها، أذكر وفي لقائنا الأول كانت تلهو في حديقتها المظلة على شرفة منزلي، كنت أنفث دُخان السجائر في الهواء مُحاولاً الوصول للغيوم، حياتي كانت أشبه بعجلة ترس في مكنة، روتينيه لدرجة الإشمئزاز، كنت أتابع "هديل" -بالمناسبة هذا لقبها- وهي تلهو وكأنها صاحبة عشرة أعوام وليست ثلاثينية، وهنا حدث ما لم أتوقعه أبداً، "هديل" تنظر لي، تبتسم، أشارت بيدها بحركة لا أفهمها ومن ثم سقطت على الأرض، صراحةً أنا شخص كسول جداً ومنزلي هذا لم أخطو بابه منذُ فترة، وبتصرف شخص لا يعرف الرحمة ظللتُ أشاهد إغمائها حتى أتى شخصان لحمل الفتاة وإدخالها في الداخل، لا أنكر بأن قلبي تحرك لأجلها، لقد مات شغفي في الحياة ولكن لم تمت إنسانيتي، مر هذا اليوم عليّ كغير أي يوم، الأشياء المُستجدة دائماً ما تبقى في أذهاننا مهما حدث، ولأول مرة أشعر بالندم على عدم تحركي، إنسان أبله ليس لدية فائدة، غدوتُ في النوم ولأول مرة أيضاً أريد أن أستيقظ سريعاً كي أطمئن عليها عندما

أراها ..

وفي اليوم التالي في نفس التوقيت تقريبا، وجدتتها تجلس على كُرسي تستطيع أن ترى منه شُرفتي وعندما رأنتي قفزت من مكانها فزعاً وابتسمت وأصبحت تلهو وأشارت لي بيدها وأنا لا أعرف أهذا ترحيب من نوع آخر أم أنها تُشير لشيء مُعين، وبدون مُقدمات سقطت مرة أُخرى على الأرض، وهُنا قررت ألا أقف مكاني ساكناً، بدلتُ ملابسي وأسرعت في النزول ولكن فور وصلي لمنزلها رأيتها بين فتحات السور الحديدي تُحمل إلي الداخل، عُدت للمنزل وأصابني الأمر بالدهشة وفي اليوم الثالث حدث نفس الأمر ولم أُلحِق بها أيضاً، فَهَمْتُ حينها بأن كُل هذا مُجرد حيلة مُبتكرة منها، لا أعرف لِمَ تُريد أن تصل ؟ وعلما تُشير بيدها؟.

ظلت تُكرر الأمر بإستمرار وأنا أتابعها، أتابعها طيلة العشرون يوم ! والغريب أنني لِمَ أملُ من مُشاهدتها كُل يوم، وفي يوم قررتُ أن أتسلل لِحديقتها كي أُحدثها وقبل الموعد المُحدد لِخروجها قررتُ أن أقفز من السور الحديدي وبرغم بأن أسلاك السور قد جرحنتني في معصمي ولكني استطعتُ أن أدخل للحديقة، أتابعها من خلف شجرة حتى لا أُلفت الإنتباه، تلعب بِالعاب أطفال، تُهمهم بأشياء غير مفهومة، حديثها مُتقطع، كلمات غير مُنتظمة، كأنها تُحدث نفسها، وأخيراً تجلس على الكُرسي وتتنظُر على شُرفتي بِتربق،

أحاول أن أحدث شيء كي تنتبه لوجودي وبالفعل رأيتني، يبدو أنها غير مُصدقة تُحاول أن تفعل شيء بيدها اليسرى في يدها اليمنى، يبدو أنها لا تستطيع التحكم في أعصابها لا بل يبدو أنها من ذوي القدرات الخاصة، الآن أصبحت أرى إشارتها بوضوح لقد تَنتت الوسطي والبنصر فقط، تركض نحوى وتُهمهم بحديث يصعب عليّ فهمه ومازالت الإشارة على يدها، لم أعرف كيف سأتصرف حينها ولكني لا إرادي قد تَنتت الوسطي والبنصر أنا أيضاً وعندما رأت الدماء على معصمي أصابها الفزع ولأول مرة أرى أحد خائف من أجلي وأمري يهمله ومن ثم أتت والدتها وأمرتها بالدخول بعدما عنفتني لأنني قد تسللتُ إلي منزلهم، قالت لي وقتها حديث لن أنساه أبداً، يا بُني هل أنت مُدرك على ما أنت مُقبل عليه؟ أتفهم الأمر جيداً "هديل" تتعلق بك أكثر من أي شخص آخر، لا أعرف كيف ومتى ولكنها قالت لي كل شيء وببراءة الأطفال قالت أنها تحُبك وتُريد أن تتحدث معك ولكنك لم تكن تنتبه إليها ففكرتُ في حيلة الإغماء وما كانت ستفعل هكذا إلا عندما علمت أن ذلك سيُقربها منك، كل تلك الأشياء لا يُفترض أن أقلها لك لأن البشر مُتعالون لا يعرفون الرحمة لا يعرفون سوى المزاح والسخرية وأنا أخشى أن يسخر منها شخص، رفعت حاجبي في استنكار لأقل أي سخرية تتحدثين عنها هم أفضل منا بمراحل صدقيني، براءة الأطفال، وجُهم كالبدر، النظرة في عيونهم

تُنسِيكَ الدُنْيَا وما فيها، بدأت عليها علامات التعجُّب حينها
نظرتُ في مُنتصف عَيْنها وبنبرة تدل على الثبات قُلْتُ :
أريد الزواج من "هديل" ..

4 روبانزل

- كانت طفلي المُدَلِّلة، أذكرُ حين طلبتُ منها أن تحكي لي
قصةً قبل أن أنام وأنا أستكينُ بين ذراعيها فبرغم أنني لم
أكن أهوى قصص الأطفال هذه ولكني أحببتُ مُشاركتها
حتى في أصغر الأشياء .

فبدأت في مُداعبة شعري بأناملها الصغيرة وقالت: كان
هُنالك امرأة مُتزوجة من رجل فقير مرت الأيام حتى تفاجئ
الرجل بأن زوجته ستضع مولود عن قريب، وأثناء حَمَلها
شعرت المرأة بأنها تُريد أن تأكل "الخس" ولكنه كان
موجود عند منزل لساحرة شريرة، حاول الرجل أن يُطعمها
أي طعام ولكنها أبت فتشجع وتسلل لمنزل الساحرة
وأختطف "الخس" وفي المرة الثانية أمسكتُ الساحرة فقال
لها زوجتي ستموت لو لم تأكل "الخس" فعقدت معه اتفاق
أن تُعطيه ما يُريد وسوف تأخذ المولود عند ولادته، من
غباؤه وخوفه وافق الرجل وبالفعل أخذت الساحرة الطفلة
وأسميتها "روبانزل" واعتنت بها وكان يسكنان في بُرج
عالٍ، ومرت الأيام والليالي وكانت تصعد الساحرة علي
شعر "روبانزل" الطويل، كانت تحب الغناء حتى سمعها

أمير ذات مرة فحاول الوصول لها ولكنه لم يجد أي سُلم كي يصعد لها، راقبها لأكثر من يوم حتى رأى الساحرة تصعد على شعرها، وأبتكر حيلة أن يُقلد صوت الساحرة حتى تُنزل "روبانزل" شعرها وبالفعل فعل وأنزلت شعرها وصعد لها وتفاجئت بوجوده، فأشاد الأمير بصوتها العذب وفرحت "روبانزل" وتكرر هذا الأمر حتى وقعت بلسانها وأخبرت الساحرة بصعود الأمير لها في البُرج، ضجرت الساحرة مما سمعته وقررت أن تقص شعرها الطويل وإبعادها في مكان آخر في الصحراء وانتظرت قدوم الأمير وبالفعل نادى الأمير عليها فأنزلت الساحرة شعر "روبانزل" المقصوص حتى صعد وتفاجئ بوجود الساحرة، أندھش وأرتبك فهوى من أعلى البُرج ليسقط ولوجود شجرة أسفل البُرج قد أنقذته من السقوط أرضاً ولكن شوك الشجرة قد أصابه بالعمى، حاول الأمير السير في الطريق بحثاً عن "روبانزل" وكان يأكل من ثمار الشجر، وعند سيره سمع ما لم يكن يتوقعه لقد سمع صوت "روبانزل" أسرع في الاتجاه نحو الصوت وإذ تتفاجئ بقدومه حتى يركضوا سوياً في اتجاه بعضهم، بكت عندما علمت بأمر عينه وما أصابها من مكروه، بكت والدموع تنزل على عين الأمير حينها شعر بأنه يستطيع أن يرى وبالفعل قد شفت دموع "روبانزل" عينه، فأخذها وسافرا سوياً وتزوجوا وهنا قد انتهت القصة

نظرتُ لعينها فتفاجئتُ بأنها تبكي، منذُ مُقابلتها وأنا أعلم
بأنها طفلة ولكن ليس لتلك الدرجة !

سألْتُها عن سبب بُكاءها بعدما مسحتُ بيدي من سقط من
عينها، فأجابت: تعلم برغم أنها قصة تُحكى للأطفال إلا أنها
تحمل الكثير من المعاني، حاولتُ أن أجعلها تضحك فقُلت
لها بالفعل فتلك القصة تحسنا علي عدم أكل "الخس" الغير
مغسول، نظرت لي نظرة حادة بعدما ضربتني علي كتفي
وقالت: أنا أتكلم بجدية فلا تُقاطعي مرةً أُخرى، ضحكتُ
حتى أتدارك الموقف وتابعت حديثها: لكل منا شيء هام
يُحاول الوصول إليه بأي طريقة مُمكنة حتى ولو أُضطرَ
لمُخالفة مبادئه كزوج المرأة الحامل، ولكننا نغفل أمر في
غاية الأهمية، هل لدينا ما يكفي للتنازل من أجل مَنْ نحب ؟
وتلك هي القاعدة الأولى "إذ أردتُ أن تصل لشيء فهُنالك
ضريبة يجب أن تدفعها رغماً عنك ألا وهي التنازل،
التنازل من أجل مواصلة ما بدأتُه"

أما بالنسبة لما فعلهُ الأمير فهو الجنون بأم عينه ولكنه لم
يياس في الوصول لم كان يُريد ولكنه أخطأ فكانت عاقبته
السقوط من أعلى ! ولكن الله لن ينتقم من شخص سار إلي
شيء رغماً عنه، رفعتُ حاجبي في شيء يدل علي
الاندهاش، فأمسكت برأسي وقالت سأفهمك يا صاحب عقل
النملة أنت وتابعت حديثها : هُنالك أشياء لا دخل لنا فيها هي
بالفطرة موجودة بداخلنا كقلبك مثلاً أحياناً يقودك لأشياء

أنتَ نفسك تستعجبُ مما تفعله ومثال آخر لذلك هي شهوة الإنسان، تحدث رغباً عنه ! فالقاعدة الثانية يا عزيزي : الله هو العدل، وخذُ بالأسباب دائماً وحاول أن تُمسكَ نفسك عن ارتكاب الخطأ، لن ينتقمُ الله منك انتقام عظيم كالموت مثلاً ولكنه حتما سيُعاقبك بشيء أقل - كعمى الأمير - بشيء يجعلك تُعيد حساباتك وتُرتب أفكارك من جديد وأن تُسلك طريق آخر، فمع الله تتيسر الأمور .

أما عن بحث الأمير المتواصل عن "روبانزل" هو عزمته وإصراره علي الوصول إلي ما أَرادَه فبرغم من أنه لا يُبصر ولكنه لم يبيس فكانت المُكافأة للأمير عظيمة ! وأظن أنك قد فهمتُ القاعدة الثالثة دون أن أشرحها. نظرتُ لها وأنا لا أعرفُ كيف أتت بكل تلك الأفكار واللباقة ففكرتُ أن أسألها سؤال وكأني أختبرُ ذكائها وقُلت وماذا عن الساحرة إذن ؟

مررت يدها علي خديها باستمرار وابتسمت لتُقل : وهذا هو صُلب الموضوع !

يُقلون بأنها ساحرة شريرة مع أننا لم نرى لها أي شر بل بالعكس فهي كانت مُستعدة أن تعطي الرجل "الخس" دون مُقابل لو كان أستاذنها، لم تفعل لـ "روبانزل" شيء سيئ حتى تخون ثقتها بها، فهي كانت تحرص علي الاعتناء بها من شر الأشخاص خارج البُرج ولكن عقل "روبانزل" الصغير لم يستوعب ذلك !

وتلك هي القاعدة الرابعة والأخيرة : الساحرة هنا في تلك
القصة تمثل دور الوالدين وحفاظهم علي أولادهم، من
الممكن أن تكون بطريقة تضايقنا كالحبس مثلا في هذا
البرج ولكنهم على حق، عقلنا لن يُصور لنا هذا سوى أنه
استبداد وتحكم، فهم لم يفعلوا شيء كي نخون ثقتهم بنا ! فإذا
أردت الوصول لشيء فيجب عليك أن تتنازل ولكن إياك أن
تتنازل عن شيئين وهما : ثقة والديك بك، ونفسك يا
عزيزي، إياك أن تتنازل عنها مهما حدث .
أمسكتُ بيدها وقبلتها وقلت لها : اعتقدتُ بأنك طفلة صغيرة
العقل ولكني أخطأتُ، وصدقيني أنتِ أفضل شيء رأته
عيني بعدما أُعيد لي البصر مرةً أخرى بفضل دموع عينك،
أحبك ..

5 النساء يحسن التصرف دائماً

- ذات يوم جاءتني زوجة صديقي تشكو من جفاف مُعاملته معها وطلبت مني أن أعطيها بعض النصائح كي تعرف كيف تتعامل معه وتجعله يُحبها ويهتمُّ بها أكثر، في الحقيقة أنني كُنت لا أعرف بما سأُنصَحها ولكني عرضتُ عليها أن تنصت لي جيداً، "ياقوت" صديقي يعشق التغير ولا يُحب الروتين والأشياء التقليدية، يُفضل الخروج منفرداً وغير مُتهم لمصايف الساحل الشمالي ولكن أسوء عيوبه أنه يُحدث عدد كثير من النساء بطريقة لو حدث بها زوجته ستُفرش تحت قدميه زهوراً، بالطبع لم أقل لها كُل تلك الأشياء ولكني عرضتُ عليها أن تُغير "إستايل" ملابسها باستمرار وأن تُصَفِّف شَعْرها وتُضيف له لون غير اللون الأسود المُعتاد، وتتجنب الحديث في أشياء تُزعجه وتُسير اشمئزازه، وأن تكفُّ عن مراقبته حتى لا ينفّر منها بالطبع هذا لم يكن السبب الرئيسي بل كُنت أخشى أن تكتشفُ خيانتَه لها فبرغم أنني أكره تلك العادة السيئة فيه ولكنه صديقي ! قُلت لها صدقيني أن فعلتي كُل تلك الأشياء سيُحبك ويهتمُّ بك أكثر، مر يوم واثنا وأن لا أعرف ما قد

حدث بينهم حتى تفاجئتُ في اليوم الثالث بصورة لهم على موقع التواصل الاجتماعي في الساحل الشمالي ! منذُ متى و"ياقوت" يذهب للساحل الشمالي أحقا ما قُلته لها أتى بنتيجة بتلك السرعة ! فالحقيقة أنا كُنت أقول لها أي شيء ولم أتوقع أن يحدث كُل هذا، وبعد أسبوع وبعد عودتهم عاودتُ الاتصال به كي أعرف ما حدث ولكنه رفض أن يُقابلني بحُجة أنه يُفضل الجلوس بجانب زوجته ! الموضوع أسار دهشتي أكثر من اللازم ، قررتُ أن أتصل بزوجه ردت عليّ بنبرة يغلب عليها الانتصار وقالت : رأيته صورتنا في الساحل ؟ وكي أظهر بأنني المُتسبب في كُل تلك السعادة التي حدثت بينهم قُلت : ألم أقل لك بأن حُطتي ستنجح ؟ أسار غضبي صوت ضحكاتها -المُتقطعة- التي لم أكن أعرف سببها ولكنها تابعت وقالت : الرجال حمقى ومَن تظن بأن الرجل عاقل وتُعامله من هذا المُنطلق سَتُعاني كثيراً، حُطتك كانت ضعيفة ولن تدخل علي شخص كزوجي أو على الرجال جميعاً، كُل ما في الأمر أنني قد تعاملتُ معه علي أنه طفلي المُدلل في اليوم الأول أعدتُ له الفطور ووضعت له علي الفراش اقتربت أكثر من أذنه وهو نائم وبنبرة تُسير إثارته قُلت له : الفطور جاهز يا حبيبي، وعندما نزل إلى عمله أمسكتُ بيده بحنان وقبلتها وقُلت له : أعلم بأنك مشغول في أوقات عملك لن أتصل بك حتى تتصل أنت بي كي أطمئن عليك إذ أردتُ، وعند عودته من

عمله رغم أنه لم يتصل بي قُلت له بعدما بدلتُ ملابسِي التي كانت تحمل رائحة الطعام : أنني أشتاق إليك وبشدة أعلم أنك لم تتصل بي لأنك مشغول ولكن يكفي أنك قد فكرتُ بي، بدل ملابسك يا عزيزي فالغداء جاهز، وعندما ذهبنا إلي النوم تركتُ مسافة بيني وبينه وتفاجئتُ بأنه قد أخذني بين أحضانه وبرغم -شخيره- المُستمر ورغم انزعاجي منه لم أقل له هذا مُطلقاً ولكني اكتفيتُ بِعدل رأسه والغريب أنه توقف عن إصدار أي صوت لم أفكر في هذا الحل من قبل! وفي اليوم التالي فعلتُ معه نفس الأمر وعندما ذهبنا إلي النوم قُلت له : أنني لستُ من هواة تناول العشاء خارج المنزل فأرجوك لا تطلب مني هذا الأمر مُطلقاً فبرغم أنه لم يطلب مني قط ولكني أردتُ أن أعانده فالرجال يكرهون العناد، ففاجئني وقسم عليّ أن نتناول العشاء الليلة خارج المنزل ! وعند تناولنا العشاء قُلت له : أنني قد طاوعتكُ ولكن إياك أن تقسم عليّ مرةً أخرى وإياك أن تصطحبني خارج المنزل مرةً أخرى حتى ولو كُننا سنذهبُ إلي الساحل الشمالي ! وبالفعل أقسم عليّ مرةً أخرى وهذا ما كُنتُ أريده بالضبط، فإياك أن تُعاود الاتصال بزوجي، فنحن لدينا الكثير من الأشياء نفعلها سوياً، صوت إغلاق الهاتف في وجهي كأنه قطار مُقبل عليّ ليدهسني ولكني لم أستطع أن أفعل شيء سوى الذهاب للنوم وللبيكاء أيضاً، فمن يظنُّ بأن المرأة لا تستطيع التصرف وحدها يحتاجُ إلي صفة قوية

على وجهه ..

السِرُّ يَكْمُنُ فِي التَّفَاصِيلِ، فَايَاكَ أَنْ تَغْفَلَ لِوَهْلَةِ ..

الجزء الثاني

1 خطيبة صديقي

- لقد أحببتي خطيبة صديقي - المُقْرَب - "ريم" هذا لقبها ولا أخشى أن أقوله ليس لأنني شجاع، بل لأنني قد حظرتُ صديقي هُنا، أعلم كم قسوتُ عليه وأضعتُ عشر أعوام من الصداقة الخالصة من أجل فتاة !

كُنْتُ أَجْلِسُ وَحْدِي أَنْتَظِرُ قَدُومَ صَدِيقِي وَلَكِنِّي تَفَاجَأْتُ بِحُضُورِهَا هِيَ فَقَطْ، أَقْبَلْتُ عَلَيَّ وَالِابْتِسَامَةَ تَصِلُ إِلَيَّ أُنْهَاهَا، جَلَسْتُ بَعْدَمَا صَافَحْتَنِي - بِطَرِيقَةٍ جَعَلَتْ بَدَنِي يَهْتَزُّ مِنَ الْقَشْعَرِيرَةِ- وَبَدَأَتْ الْحَدِيثَ وَهِيَ تَنْظُرُ لِعَيْنِي بِتَرْقُبٍ وَبِشْيءٍ يَفْضَحُ مَا فِي قَلْبِهَا، تَنْهَدَتْ ثُمَّ قَالَتْ : "يَا قُوتُ" يَعْتَذِرُ عَنِ عَدَمِ حُضُورِهِ وَلَكِنَّهُ مَشْغُولٌ بِعَمَلِهِ كَمَا تَعْلَمُ، هَزَزْتُ رَأْسِي وَتَابَعْتُ مَا كُنْتُ لَا أَوَدُ سَمَاعَهُ: وَلَمْ تَهُونِ عَلَيَّ أَنْ أَتْرُكَكَ تَجْلِسُ وَتَنْتَظِرُ وَحْدَكَ، فِي الْحَقِيقَةِ "يَا قُوتُ" لَا يَحْتَرِّمُ مَوَاعِيدَهُ وَيَفْعَلُ هَذَا دَائِمًا مَعِي، أَظُنُّ بِأَنَّيْ قَدْ تَسْرَعْتُ فِي

خطوبتنا ولم أدرس هذا القرار بشكل موضوعي، لمّ لم يكن
مثلك شخص يحتفظ برشاقة بدنه ووسيم ويحترم المواعيد
ومُنقف، ثم فعلت ما كُنْتُ أخشاه ! أمسكت يدي في محاولة
لجعلني أصدق ما تقوله وأكملت حديثها بعدما سحبتُ يدي
بجانبي وقالت : سأقل لك سر، أنت فتى أحلامي الذي كُنْتُ
أحلم به طيلة عمري، لقد ندمتُ علي اتخاذ هذا القرار
"ياقوت" لم يكن فتى أحلامي، و عليك أن تُصدقني وبدأت
دموع التماسيح تنزل من عينيها في محاولة ل جعلني أصدق
حديثها أيضا وقالت : أنا أعشقتك من المرة الأولى التي
رأيتك فيها يا ليتني صادفتك قبله !

لم أكن أعرف كيف أتصرف، المواجهة هنا محسومة لها
مئة بالمائة والإخفاء جريمة في حق صداقتنا ! عينيها كانت
تقل بأن هنالك حديث لمّ تقوله بعد وبالفعل بعدما رأيتني
صامت تابعت حديثها ولكن نظرة عينيها تغيرت تماما
أصبحت عينيها كعين الأفعى قبل افتراس فريستها، صديقك
هذا الذي يجعلك تُفكر في الأمر ويعني لك الكثير، قد قال
من وراء ظهرك أبشع الصفات التي من الممكن أن يُصف
به شخص، أتتذكر المرة الأولى التي جلسنا فيها سويا؟
بعدما غادرت قال بأنك لم تُنزل عينك من عليّ فبرغم أنك
لم تفعل هذا ولكني تمنيتُ أن يحدث، كما قال أيضا أنك
أسوء صديق له وطلب مني أن أجرب فتح الحديث معك
حتى يُقعك في المصيدة ولكني لمّ أفعل لأنني أعلم أنك لن

تتعدى حدودك معي أقول لك هذا وأقسم بأنه لا يعلم شيء
عن مُقابلتنا تلك، صدقني حديثي الآن ليس جزء من الخُطة
بل هو حقيقة وأنا علي أتم استعداد الآن لفسخ خطوبتنا من
أجلك، "ريم" لم تكن تكذب وتلك لم تكن جزء من خُطتهم
فحركات جسدها تُحي بالصدق كما أن عيناها لم تلتفت يسار
نهائي، هُنا عرفت ما ينبغي عليّ فعله، أمسكتُ بيدها وقُلت
لها : أنا أحبكِ أيضاً، اتسعت حدقت عيناها وكأنها غير
مُصدقة لما سمعته وبدأت الدموع تزرِف منها دمعة تلو
الأخرى وهُنا أصبحت هي الصامتة وليس أنا، منذُ فترة
بعيدة وأنا أبحث عن شخص يُحبنى، يحفظ تفاصيلي
الصغيرة التي لا أُعيرها انتباه، شخص لا يعرف الكذب
والاحتيال، يتصل بي في الواحدة ظُهرأ ليخبرني أنه مُشتاق
لي، كُنت أقول دائماً بأنني لنُ أجده ولكني وجدتكِ يا "ريم"،
ضَحكت وهي تمسح الدموع الموجودة أسفل عيناها وقالت:
اليوم سأفسخ خُطوبتي من أجلك، ابتسمتُ في دهاء وقُلت :
وهذا تماماً ما كُنت أريده بالضبط.

غادرت "ريم" وحينها تنفستُ الصعداء، "ريم" لا تكذب
وحركة جميع أعضائها تُوحى بذلك كما قُلت من قبل، فحيلة
أنني أحبها كُنت أختبرها بها، من تلك التي أحبها في عشرة
دقائق ! ولكنها الآن لديها معلومة قيمة كي تُخبرها
لـ "ياقوت" صديقك المُقرب يخونك لقد نجحت خُطتنا،
انتظرت الليل بأكمله كي يَرُن عليّ وينهال عليّ بالسُباب

والشتائم إلا أنه لم يفعل ! أحاطني الملل من جميع الجهات
فكرتُ في تصفح موقع التواصل الاجتماعي " فيس بوك "
وكان أول منشور أراه أمامي صادم بالحد الذي يجعلك
يُغشي عليك من شدة الصدمة، كُل شيء نصيب ولا أعرف
سر ابتعاد "ريم" عني وإصرارها على فسخ خُطوبتنا،
تركنتي دون سبب واحد يوضح أي شيء، تركنتي حائر
ولكني تعلمتُ من الدرس، أشتاق لكِ بشدة يا عزيزتي ..
نزلت كلمات "ياقوت" عليّ كالصاعقة، أنا الآن في أزمة
حقيقة، أزمة بسبب غبائي الذي راح ضحيته فتاة تعتقد بأنني
أحبها وآخر لم يفعل شيء ولكني دمرتُ حياته وسرقت منه
شريكته ..

أسرعت بالاتصال بها ولكنها لا ترد ! فأرسلتُ لها رسالة :
"ريم" هُنالك شيء مُهم أود أخبارك به سأنتظركِ في المكان
الذي كُنّا نجلس فيه سوياً غداً في الثالثة عصراً. قد اخترتُ
ذلك المكان لقُربة من منزلها كما أنه لم يأتني في ذهني مكان
آخر، أريد أن أعالج المُشكلة بأي طريقة، قاطع حبل أفكارني
صوت رنين هاتفي يبدو أنها رأت الرسالة وعاودت
الاتصال بي ولكنني عندما أمسكتُ الهاتف لم تكن هي
المُتصلة بل أنه "ياقوت" حالة من التوتر والقلق تُغلبني لا
أعرف ماذا أقول له أخبرته بكل شيء ويتصل بي كي ينال
مني أم أنه رآني معها ليلة البارحة ويؤد أن يعرف،
ضغطتُ على زر الفتح ولم أنطق بكلمة واحدة وكان هُنالك

شيء عالق يعوق الحديث في حنجرتي، تركته هو يبدأ
بالحديث ولكني لم أجد منه كلام بل وجدتُ بكاءً !، أتوسل
إليك أنا في حاجة ليسمعني أحدهم وأنت أقرب شخص لدي،
بعد "ريم" قد قسم ظهري لنصفين، أريد أن أراك غداً في
الثالثة عصرًا في المكان الذي كُنّا نجلس فيه سويًا لأنني
مُشتاق له ! وكأن أحدهم دَلق دلو من مُكعبات الثلج عليك
في شتاء ديسمبر، حاولت الاتصال بـ"ريم" مجددًا كي
أخبرها بتأجيل الموعد ولكن هاتفها قد أُغلق ! جاءتني فكرة
بعدم الحضور غداً ولكن ماذا إذا التقيي، فكرتُ بالاتصال به
كي أخبره أنني مشغول بشيء مهم ولن أستطيع الحضور
ولكني لم أقدر علي ذلك فهو يحتاج لشخص يقف بجانب
ويواسيه فلا داعي أن أخذه مرةً أخرى، أتذكر أنني لم أنم
تلك الليلة من شدة التفكير حتى نظرتُ في الساعة بالصدفة
رأيتها تدق الثانية ظهراً لا أعرف كيف حدث هذا ولا أريد
أن أعرف فأنا لدي ما يكفيني من أشياء أفكر بها، يمرُّ
الوقت بسرعة شديدة ولا أستطيع الإمساك به، بدلتُ ملابسِي
وقررت النزول ويحدث ما سيحدث الأهم أن يعرفوا
الحقيقة، جلستُ وحدي أنتظره دقت الثالثة بالضبط فرأيتُه
مُقبل عليّ منذُ متى وهو يحترم مواعيده، أجاأ الالتزام فجأة
اليوم بالأخص ؟ صافحني وعينه تكاد لا تظهر من شدة
ورمان جفونه، تنهد ثم جلس وقال : لن أُطيل عليك سادخل
في صُلب الموضوع مباشرةً، هذا الحديث الذي لا أود

سماعه سيُفعل لي ما فعلته ومن ثم يلكنني لكمه تُقضي عليّ،
لقد نسيْتُ شيء هام، "ريم" ستحضر في خلال دقائق!
وكان هاتفي ينتظر أن أفكر في هذا الموضوع كي يُصدر
صوت يجعلني أقفز من مكاني فزعاً، رسالة جديدة من
"ريم" نظرت لـ "ياقوت" حتى يتوقف عن حديثه كي أستطيع
قراءة الرسالة فأنا أكرهه أن يحدث شخص ولا يُعيرني
انتباه وينظر في هاتفه فبالتأكيد لن أفعل ذلك معه، توقف
عن الحديث عندما لاحظ اهتمامي بالهاتف، وبرغم أن
الهاتف يُعتبر بين أحضاني إلا أنني أشعر أنه يرى كل شيء
بالهاتف، أعتذر عن عدم ردي عليك ليلة أمس كما أنني لم
أري رسالتك سوى الآن لأن هاتفي قد أفرغ شحنه ولن
أستطيع الحضور لك فالساعة قد تجاوزت الميعاد الذي
حددته، أحبك كثيراً يا عزيزي، ابتسمتُ على أنها لن
تحضر ولكن سرعان ما تذكرت بداية حديثه معي فعدم
حضورها لن يُغني، حاولتُ تجميع شتاتي ونظرت له في
إشارة لتكمله حديثه، هرش في أنفه ثم نظر يسار وقال: لقد
عرفتُ كل شيء، "ريم" لا تحبني أعلم هذا منذُ فترة وكنت
أتغاضى عنه، فالحُب يأتي بالاستمرار ولكنها قررت عدم
الاستمرار معي لأنها أحببت شخص آخر لا أعرفه أو هي
التي لا تُريد أن تقل على لقبه، لا يهم لقبه الأهم أنها تركتني
وأحبت شخص آخر، أرجوك ساعدني وقف بجانبني كي
أستطيع أن أتخطى تلك المرحلة، أمسك بهاتفه الذي كان

علي الطاولة الموضوعه أمامنا ومن ثم غادر وكان الله
أعطاني فرصة لتصحيح خطأ لم أرتكبه عن قصد، حاولتُ
أن أفكر في الخطوة التالية ولكن الأمر مُعقد، ليس في
استطاعتي أن أفعل أي شيء سوى أن أنفذ ما سيطلبه مني
مهما كان ولكني لم أكن أتوقع أبداً أنه سيطلب هذا الطلب
إطلاقاً !

اتصلت بي "ريم" بعدما عُدت للمنزل وقالت أنها تشتاق لي
وتريد أن نتقابل حددتُ لها موعد في نفس اليوم في تمام
التاسعة مساءً، وحينها سأخبرها بكل شيء ولكن قبل ذلك
أريد أن أعرض عليها طلب "ياقوت" كعادتي حضرتُ في
الموعد المحدد وجاءت مُتأخرة عشر دقائق تقريبا، جلست
بجانبي وعينها تنظر لي وكأنني شيء عظيم في نظرها،
تلك النظرة التي تجعلك في كامل سعادتك تُشعرك بأنك
تمتلك العالم بأكمله صافحتني ثم قبلتُ يدها لتبتسم تنهدت ثم
قُلْتُ لها : لما تركتي "ياقوت" بتلك السرعة وكأنني قُلْتُ لها
شيء مكروه لا تؤد سماعه استشاطت غضباً وطلبت أن
أغير هذا الموضوع، نظرت لها والدموع بدأت تتكون في
عيني : "ياقوت" غير سعيد بحياته، فهو يُعذب نفسه من
أجل رحيلك، يُحبك أكثر من نفسه ولا يقدر علي فراقكم وأنا
أشعر بالذنب، لم تكترث "ريم" لحديثي وكأنني لم أتحدث
أساساً ولكني عندما قُلْتُ لها بأنه قد طلب من شيء انتبهت
لحديثي وقالت ما هو طلبه ؟ "ياقوت" يريد أن يتخطى تلك

الأزمة بأي طريقة ووجد ذلك في فتح مشروع ولكنه يتطلب مبلغ ضخّم ويُريده مني، رفضت "ريم" بشدة و غضبت أكثر وقالت : أننا أولى منه، إياك أن تُعطي له شيء، أنا لا أريد أي نقود منك ولكن لا تُعطيه فهو ينصّب عليك صدقني وكي تُكمل تعقيد الموضوع غادرت وتركتني حائر ووضعتني في نفس الاختيار مرةً أخرى، سأختار صديقي الذي خذته من قبل أم أسمع حديثها، في الحقيقة المبلغ الذي يطلبه لا يتعدى واحد في المائة من ثروت والدي الذي تركها لي ولكن أيضاً مليون جُنيهاً في مشروع لا تضمن مكسبه يجعلك تُفكر ألف مرة !

عُدت للمنزل ليرُن "ياقوت" عليّ يبدو أنه ينتظر ردي عليه وأنا لم أتخذ قرار بعد، فتركت الهاتف يرن وكأنني لا أسمعُه وقد غدوتُ في النوم لأجد ما يقربُ من خمسون مُكالمة لم أرُد عليهم، كان هُنالك مُكالمة واحدة فقط من "ريم" والباقي من "ياقوت" هل أنا سيئٌ لتلك الدرجة لقد خذته من قبل وأريد أن أخذله مرةً أخرى ؟ ولأول مرة أفكر بطريقة صحيحة، عاودتُ الاتصال به وبنبرة كاذبة قُلت له : أهلا يا صديق لقد حضرتُ لك المبلغ الذي تُريده حدد لي الموعد الذي تُريده وسأتي إليك يا صديقي، عادةً ما أشك في الإنسان مرة واحدة وعلي بُنائها أعامله بها وهذا هو الاختبار الأول والأخير لـ "ياقوت" فأنا لم أرتاح لنظراته في المُقابلة السابقة، حدد الموعد في الثالثة عصراً في نفس

ذلك المكان المشئوم الذي كُنّا نجلس فيه سوياً، اتصلتُ
بـ"ريم" وبنبرة صوت غير متوقعة قالت: أعتذر على ما قد
قُلته لك ليلة البارحة تلك هي نقودك وهذا صديقك فبرغم
أنني أكرهه ولكنك حُر التصرف أفعل ما شئت طالما أنت
معي فتباً للعالم بأكمله، ابتسمتُ عندما بدأت أشعر أنني على
الطريق الصحيح وأن ما فعلته هو الصواب ولكن لم تكتمل
الفرحة، طلبت مني أن نتقابل في الثالثة عصراً لا أعرف
لما يلعب معي الحظ بتلك الطريقة عليّ أن ألغي موعد من
الاثنين وبالتأكيد سألغي موعد "ياقوت" ولكن سأفعل معه ما
لم يفعله أحد مع أصدقائه، اتصلت به مرة أخرى وقُلْتُ له
بأنني مشغول في أمر ما ولن أستطيع مقابله ولكني قد
وضعتُ مُفتاح منزلي أسفل عتبة الباب وحقيبة النقود
بالداخل، ستجد المُفتاح في تمام الساعة الثالثة خذ النقود
وأصل بي بعدها، بدلتُ ملابسِي وأسرعت في النزول كي
ألحق بـ"ريم" بعدما قد وضعتُ المُفتاح في المكان الذي
قُلْتُ له عليه، ولأول مرة أتأخر عن مواعيدي خمس دقائق
قابلتني "ريم" بعين تبتُّ شراره و غضب فابتسمتُ ولكنها لم
تبتسم ! جلست بجانبها فأدارت وجهها بعيد عني وقالت :
بدأت تتعلم من صديقك عدم احترام المواعيد ! لا تجعلني
أندم وبدأت في البكاء حتى ساح الكحل من عينها فاعتذرت
وذهبت للمرحاض أنظر في الساعة أجدها الثالثة وخمس
عشر دقيقة ولم يتصل بي حتى الآن، سمعتُ صوت رنين

هاتف ولكنه لم يكن هاتفي بل هاتف "ريم" يبدو أنها قد تناسته على الكرسي الذي كانت تجلس عليه، نظرت في الهاتف لأجده "ياقوت" كيف هذا ! وكيف حدث ذلك !، فكرت في فتح حقيبتها قبل أن تأتي ولكني لم أجد شيء. ما هذا ؟ كاتب لغة الجسد ! ماذا تفعل به ! أدعو الله ألا يكون ما يدور في ذهني حقيقي، "ريم" تدرس لغة جسد ! بالفعل هي كذلك "ريم" كانت تكذب عليّ طيلة الفترة السابقة وهي تعلم أنني مُتمكن في لغة الجسد فلذلك كانت تُظهر لي ما تؤد إظهاره فبالتالي لن أستطيع التفريق بين كذبها وصدقها، وكي يُثبت صحة استنتاجي جاءت رسالة منه يقول فيها: بأنه قد أخذ حقيبة المال وعليها أن تُغادر حتى تذهب معه ليهربا سويا، كم كنت مُغفل كيف استطاعت فتاة بأن تخدعني ؟ أخذتُ هاتفها وغادرت وأنا لا أعرف ماذا سأفعل، كتبتُ له من هاتف "ريم" لقد كُشفنا، والحقيبة التي معك بها جهاز تتبّع وهو في الطريق إليك الآن أعطني عنوانك كي أتمكن من الوصول لك، أفضل طريقة في البحث عن شيء تؤد الوصول له هو إخافته وجعله يعتقد بأنك وراءه دائماً، سيرتباك ويُخطي وبالفعل أخطأ ودخلت عليه تلك الحيلة، أخرجتُ هاتفني بعدما أعطاني العنوان الذي سيختبئ فيه مني واتصلت بالشرطة وقُلت أنني أعرف شخص بحوزته مليون جُنيهاً مُزورين وأعطيت لهم العنوان ومن ثم قد كسرتُ الشريحة، يحاولون خداعي يحاولون

التغلب عليّ لا يعرفون بأنني لا أُغلب، مجنون من من يعطي شخص مليون جُنيهاً سليمة، "ياقوت" يكذب عليّ منذُ مُقابلتنا كان يعرف كل شيء ويحاول إخفاءه كي تنجح خُطتهم!، عُدت للمنزل كي أستريح قليلاً ولكن الأمر الذي أفرزني حقاً أنني قد وجدتُ النقود مكانها والشقة مقلوبة رأس على عقب وعندما فتحتُ الحقيبة كي أتأكد بأن النقود المُزورة بداخلها وبالفعل كانت موجودة، وما أفرزني أكثر هو طُرق الباب بطريقة همجية، يبدو أن الشرطة قد حضرت كي تقبض عليّ ..!

2 قاتل مُحترف

لَمَّ أَكْمَلِ ثَوَانٍ بَعْدَمَا أُخْتَبِتُ فِي الْعَرَبَةِ حَتَّى ائْدَلْعَ صَوْتُ جِهَازِ الْإِنْذَارِ فِي السَّجْنِ بِأَكْمَلِهِ، لَقَدْ عَلِمُوا بِهَرُوبِي وَلَكِنْ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ ..

الثَّامِنَةُ إِلَّا رُبْعَ صَبَاحاً بِتَوَقُّيْتِ سَاعَةِ الْحَائِطِ، الْجَمِيعُ نَائِمٌ فِي الْمَنْزَلِ حَتَّى زَوْجَتِي الَّتِي قَدْ تَشَاجَرْنَا سَوِيّاً لَيْلَةً أَمْسَ لَمَّ تَسْتَيْقِظُ الْيَوْمَ وَكَأَنَّهَا تُعَاقِبُنِي، لَمَّ أَكْثَرْتُ كَثِيراً لَمَّ فَعَلْتَهُ وَبِرْغَمِ أَنَّهُ شَيْءٌ لَا يُفْعَلُ حَتَّى وَلَوْ كُنَّا لَا نَتَحَدَّثُ فَهَذَا لَيْسَ لَهُ عُلَاقَةٌ بِذَلِكَ، لَقَدْ قَصَرْتُ فِي حَقِّ مَنْ حُقُوقِي وَبِرْغَمِ ذَلِكَ كُلِّهِ تَغَاضَيْتُ عَنِ الْأَمْرِ، لِأَنَّي قَدْ تَعَصَّبْتُ عَلَيْهَا أَمْسَ كَثِيراً نِتَاجَ لِذَلِكَ، عَلَيَّ أَيُّ حَالٍ عَلَيَّ أَنْ فَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ هَذَا أُسْرِعَ حَتَّى لَا أَتَأَخَّرَ عَنِ عَمَلِي، فَالْعَمَلُ قَرِيبٌ مِنْ مَنْزَلِي قُرَابَةَ الْعَشْرِ دَقَائِقَ وَلَكِنْ عَلَيَّ أَنْ أَصِلَ بَاطِراً كِي أُرْتَبَ دَفَاتِرَ الْعَمَلِ، وَبِالْفِعْلِ وَصَلْتُ فِي تَمَامِ الثَّامِنَةِ، الْجَمِيعُ يَنْظُرُ لِي بِإِنْدِهَاشٍ، يَنْظُرُونَ عَلَيَّ وَكَأَنَّ هُنَالِكَ شَيْءٌ مَا، فُورَ دَخُولِي الْمَكَانِ كَانَ الْجَمِيعُ يَبْتَسِمُ وَلَكِنَّهُمْ تَبَدَّلَتْ مَلَاحِمُهُمْ عِنْدَمَا رَأُونِي، وَكَأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّي لَنْ أَتِيَ الْيَوْمَ لِلْعَمَلِ،

بالمناسبة معكم "فؤاد بهجت" رئيس تحرير جريدة " قبل
الحدث بساعة"، دخلت مكتبي لتتبعني السكرتاره حامله
أكوام من الأوراق، حقيقةً لا أعرف كيف تكوم عليّ كل هذا
العمل، بدلتها التحية لتصدمني وتقل: اعتقدنا أنك لن تأتي أو
هنالك مكروه قد أصابك على أي حال حمد الله على مجيئك
ولكن عليك أن تسرع في إنجاز تلك الأوراق كي نقوم
بنشرها فلأول مرة نكون متأخرين ساعة وليس العكس،
أخرجت هاتفني لأجدها الثامنة ودقائق أشارتُ بالهاتف في
وجهها لأقل بل نحن في الموعد المعتاد، أي تأخير تتحدثين
عنه! تركت الأوراق على مكتبي كي تتمكن من إخراج
هاتفها لتفعل ما فعلته من حركة مُستفزة وتشير الهاتف في
وجهي لتقل: سيدي الساعة الآن التاسعة ودقائق، اتسعت
حدقت عيني لقد أضعت ساعة من أهم ساعات العمل، عمل
اليوم كله يكون مبني على تلك الساعة، نظرت للأوراق
بعدما طلبت منها أن تُحضر قهوتي وبدأت في إنجاز ما
أقدر عليه، طُرق الباب فاعتقدت بأن القهوة أصبحت جاهزة
ولكنه لم يكن ذلك فلقد حضر أحدهم بدل القهوة، لقد
حضرت الشرطة.

قفزت من على الكرسي وأنا لا أفهم ما الذي يجري، دخل
عليّ ضابط شرطة ليقل: يجب أن تأتي معي دون أي
مقاومة حتى لا يشعر أحد بشيء، أمشي بجانبه والجميع
ينظر إليّ ونفس علامة الاندهاش عليهم، ولأول مرة أركب

عربة الشرطة حتى وصلت إلى القسم وأنا لا أفهم ماذا يحدث توقعت أنني مُتهم بإثارة البلبلة أو هُنالك شيء قد تم نشره يتناول على السلطات، أجلس في المكان المُخصص للتحقيق وحدي، عُرفة مُنعزلة عن باقي القسم، طاولة أمامي، جُدران العُرفة من الخشب العازل للصوت وجدار من الزجاج ويقف خلفه نفس الشخص الذي قبض عليّ، ينظر إليّ بترقب يُحاول أن يجعلني أرتبك، صراحةً كُنت أعلم بأن هذا اليوم سيأتي ولكني لم أتوقع أن يأتي بتلك السرعة وأخيراً فُتح الباب ليدخل هذا الشخص يُسند يده على الطاولة ينظر لي ومن ثم يُقل : في الثامنة صباحاً جاءتني معلومة بجريمة قتل قد حدثت، وشهود عيان يُقلون بأنك آخر ما نزل من المنزل، سيد فؤاد بهجت أنت مُتهم بقتل زوجتك وطفلك الوحيد ما أقوالك تجاه ذلك ؟ نزلت كلماته عليّ كالصاعقة، زوجة من قُتلت ؟ طفلي الوحيد قد قُتل ؟ بدأت الدموع تنزل من عيني غير مُصدق لم يقوله ! قُلت له أنا لم أفعل شيء وزوجتي كانت نائمة فور نزولي من المنزل، يجب أن تقبضوا على المُجرم الحقيقي ويجب أن أخرج من هنا حتى أرى زوجتي وطفلي أنا غير مُصدق لحديثك، صفة قوية جعلتني أقع من على الكرسي الجالس عليه لينهال هذا الشخص عليّ بالضرب وهو يُقل: أعتقد أنني سأُصدق ما تفعله أيها المُجرم، ماذا فعلت زوجتك كي تقتلها وما ذنب طفلك أيها الوقح ! ظللت أبكي وأنا لا أعرف

علما أبكي، أبكي على قتل زوجتي وطفلي أم أبكي لأنني
المُتهم بِقتلهم، تابع حديثه وقال : غداً ستُعرض على النيابة
ومن ثم تُحال أوراقك إلى مُفتي الجمهورية كي تُعدم،
أنصرف وتركني راقداً على الأرض باكياً لا أعرف كيف
سأتصرف، مر أسبوع تقريباً وأنا الآن ألبس البذلة الحمراء
تلك البذلة التي لم أتخيل يوماً أنني سألبسها، مُتبقّي ساعات
قليلة حتى يتم إعدامي شنقاً ! أجلس في زنزانة انفرادية،
غُرّة مظلمة، أسهُم من ضوء الشمس تتسلل بين فتاحات
النافذة، باب من الحديد يوجد به فتحة صغيرة حتى
يستطيعوا أن ينظروا عليّ منها، أفكر في أي شيء
يُخرجني من هنا ولكن دون جدوى، وضعت رأسي بين
رُكبتي وضمتّ عليهم بيدي، سمعت صوت خلف الباب يبدو
أنه قد حان الوقت لإعدامي ظلماً، شخص أعتقد أنني قد
رأيتَه من قبل، في يده ملابس ينظر خلفه وكأنه خائف من
شيء أمسك بيدي ليقل : بدل ملابسك بسرعة عليك أن تأتي
معي حالاً ليس لدينا وقت، وبالفعل بدلت ملابسني وأصبحنا
نركض وأنا لا أعرف إلى أين أنا ذاهب حتى وصلنا إلى
سور السجن في منطقة لا يوجد بها حراسة ليأتي بسلم ويقل
: أصدع ستجد عربة في انتظارك على بُعد أمتار من السجن
لا تنظر خلفك وإلا ستُكشف، وضعت قدمي على أول سلمه
ولكنني توقفت لأقل له : لماذا تفعل معي هذا، ليقل : ليس
لدينا وقت كافٍ للشرح عليك أن تبحث عن القاتل الحقيقي،

مأذمت تَقُلُّ لنا دائماً أنه يتوجب علينا البحث عن المصادر
الصحيحة الموثوق منها فعليك أنت أيضاً أن تبحث عن
المُجرم الحقيقي، صعدت السلم وقفزتُ من أعلى السور كي
أركض حتى أصل للعربة التي أنارت مصابيحها كي
أعرفها، لم أكمل ثوانٍ بعدما أختبئتُ في العربة حتى اندلع
صوت جهاز الإنذار في السجن بأكمله..
سألني السائق عن المكان الذي أود الذهاب إليه، وبتصرف
أبله لا يعرف عن الهروب شيء فُلت له: أريد الذهاب
للمنزل !

وبالفعل وصلت للمنزل وقبل نزولي أوقفني السائق ليُمد لي
يده ليقل : سيدي أظن أنك تحتاج إلى ذلك. أعطاني مُفتاح
المنزل كيف غاب عن ذهني ذلك الأمر؟ أخذت منه المُفتاح
وصعدت للمنزل بسرعة حتى لا يراني أحد، وغير ذلك أن
الشُرطة دقائق وستكون هنا فيجب عليّ أن أُسرع، دخلت
المنزل وروضتني كُل الذكريات السيئة، المنزل مقلوب
رأساً على عقب، رائحة الموت ما زالت تسكُنه، نظرت على
ساعة الحائط لأجدها تدق الثامنة مساءً في حين أنه قبل
نزولي من العربة كانت تدق التاسعة يبدو أن المُجرم قد
دخل منزلي كي يُغير الوقت حتى أتأخر عن العمل ساعة
وأكون أنا المُتشبه الأول والأخير، قاتل مُحترف يعرف كُل
تفصيلة في منزلي كما أنه قد دخل منزلي أكثر من مرة كي
يتجراً ويصل إلى ساعة الحائط ومن ثم يدخل للمنزل فور

نزولي ليفعل ما فعله وهذا أول خيط للبحث عن المُجرم الحقيقي، أنه يعرفني ويعرف زوجتي.
ظلتُ أبحث في المنزل عن أي شيء حتى دخلت العُرفة التي قد حدثت فيها الجريمة، مازلت أثار الدماء على الفراش، العُرفة أشبه بمكان لبيع "الخُرْدَة" لقد سُرقت محتوياتها يبدو أنني لن أصل إلى شيء هنا وعليّ الهروب فوراً قبل حضور الشرطة، رميتُ جسدي على الفراش وبدأت في البكاء، أبكي كطفل فقد أبوية في الحرب ولم يجد مَنْ يواسيه حتى مات هو الآخر من شدة قهرته، اعتدلتُ في جلستي وذهبت للمرحاض حتى أغسل وجهي، أنظر لملامي في المرأة وأكاد ألا أعرفني، متى تبدلت ملامي هكذا؟ متى أصبحت مُجرم وفي نفس الوقت قُتلت زوجتي وطفلي؟ وبحركة درامية ضربت المرأة لكمة حتى تُصيبها الشروخ وتُصيب يدي أيضاً بجروح لم تُعنيني إطلاقاً ولكنني تفاجئت بسقوط مُفكرة صغيرة خلف المرأة تلك المُفكرة أعرفها تماماً فهي تخص زوجتي، ولكن كيف؟ لقد أعطوني أثناء التحقيق معي أوراق مُفكرة وقالوا أنها لزوجتي وتُقل فيها أنني شخص سيئ وأعاملها مُعاملة بشعة وخائفة أن أقتلها فلذلك كتبت تلك الأشياء! الآن فهمت كل شيء هذه المُفكرة التي أعطوني أيها كانت مُزورة حتى تكتمل إثباتات قتلي لهم. انتشلتها من على الأرض وبدأت أقرأ ما فيها: زوجي العزيز ستجد كل شيء فعلته معي هنا

أن تقرأها في يوماً من الأيام.
أقلب الصفحات وعيني تقرأ سريعاً تلك ليست بأشياء هامة
الآن حتى استوقفتني عنوان "ليلة أمس" أصبحت أقرأ بلهفة
الآن لعلني أصل إلى شيء فبال تأكيد القاتل كان موجود
منزلي قبل وقوع الجريمة بيوم : كانت حفلة رائعة وبوجود
أصدقائك أصبحت مُملة أُعذرنني لم أقوله ولكن تلك الحقيقة
نظرات "ياقوت" إليّ أصبنتني بالفرع، لم أكن أعلم لم ينظر
لي هكذا، وبفضله قد تشاجرنا على شيء بسيط ولكنك قد
أخرجتني أمامهم بقولك أن الطعام ليس جيد، ألم تُغار عليّ
عندما داعبني "آدم" فور توبيخك لي وقال أن هذا هو أفضل
طعام قد تزوقه طيلة حياته، ولكن لا يهم سأنام الآن والحزن
يسكن قلبي وأُعذرنني مرةً أخرى لعدم استيقاظي لك غداً
حتى تعلم خطأك وتعتذر إليّ، أُحبك رغم كل شيء .
اتسعت حدقت عيني لم قد قرأته، "ياقوت" هو القاتل ؟ كان
يجلس معنا ويُفكر كيف سينفذ جريمته! عليّ أن أذهب إليّه
الآن حتى أقتله أو على الأقل أبلغ الشرطة بأن هُنالك تزوير
في الأدلة ولكن هل سيصدقونني ليس بدليل قاطع، لفت
انتباهي وجود أرقام خلف آخر صفحة قرأتها لأجدها :

(30*400*1*100 ، 40*4*1)

أنظر في الأرقام ولكن لا أفهم علما تدل ! أهذا كود مثلاً
كانت تحاول الاتصال به أم ماذا عقلي يكاد ينفجر، مهلاً

مهلاً كيف غابت عن ذهني تلك هي إشارة توضح فيها رسالة تُرديني أن أفك شفرتها، "حساب الجمل" لكل رقم هنا حرف وتلك جملة، دائماً ما كنا نستخدمه أثناء فترة خطوبتنا حتى لا يعرف أحد ما الذي نقوله، أركز في الأرقام حتى أتذكر الحروف المُقابلة لها وأخيراً قد جمعتها لتكون :

لتاقمداً

ولكن ماذا تقصد لا أفهم، أنظر في الأرقام مرة أخرى لأجد فصلة بينهم يبدو أنها كلمتين وليست كلمة واحدة

لتاق مداً

لا أفهم أيضاً ! هُنالك خطأ ما، أنظر في المرآة كي أندب حظي، أرمي بالمُفكرة أرضاً لأنها لم تجعلني أصل لشيء لأجد جملة مكتوبة خلفها " المرآة لا تعكس الأشياء بل تجعلنا نرى الحقيقة بوضوح"
أمسكت بها مرةً أخرى والآن فقط قد عرفت المُجرم الحقيقي ..

3- السر وراء اختفاء حرف الراء

- حالة من الاستنفار الأمني تُصيب البلاد، على الجميع أن يبقى في منازلهم أطول فترة مُمكنة وإغلاق جميع المصابيح في الثامنة مساءً حتى لا تقوم الغارات بِدك المنازل على أصحابها، نحن لا نُحارب جيش أو أثنا بل نُحارب مئات الجيوش، كُل دولة أصبحت تضرب في الدولة الأخرى، وهذا ما يُسمى "بحرب الجياع"، عليك أن تتخيل هذا المشهد جيداً، جيوش العالم بأكمله مُصطفة على الحدود وكُل جيش يُرسل الصواريخ على الدولة المقابلة له والبقاء للأقوى بل البقاء لِصاحب الضربة الأخيرة، الأمر أشبه بالحروب الأهلية ولكنها على نطاق أوسع وأشمل، اليوم أحدث العالم بأكمله وأقل بأن كُل تلك الفوضى الحادثة ما هي إلا تنشيط لجبهتنا، على الجميع أن ينصت لي لأنني وبكل ثقة صاحب الضربة الأخيرة ..

انتهيت من كتابة هذا الخطاب الذي كلفني به الملك، هذا الخطاب سيُنشر في كافة الصحف صباح غد، ولكني الآن في مأزق حقيقي مُتبقني تقريباً خمسة عشر دقيقة على

إرسال هذا الخطاب للملك حتى يقرئه وعادةً ما كنت أرسل تلك الخطابات لـ "حسناء" حتى تراجعها لغوياً وتوضح لي نقاط الضعف والترهيب وذلك لدراستها في علم النفس وتحليل سلوك البشر، ولكن خمسة عشر دقيقة غير كافية بالمرّة، أسرع في الركض نحو منزلها وأنا ألعن كل تلك الحروب التي دمرت وسائل الاتصال وشبكات المحمول، وصلت في خمس دقائق أطرق الباب بكل قوتي حتى تفتح لي "حسناء" وهي مفزوعة أعطيها الخطاب دون أن أعتذر عن شيء وقلت لها : خمس دقائق وتنتهين من مراجعته، رفعت حاجبها في استنكار ولم تقل شيء سوى انتظرنى بالداخل، يمر الوقت عليّ أسرع من الشيء الذي كان يُسمى قطار منذ مائة عام تقريباً، أنظر في الساعة والعرق ينصب بغزارة من جبيني، أقل شيء سيحدث لي إن تأخرت عن الموعد المحدد هو الموت ! وأخيراً أقبلت عليّ وفي يدها الخطاب المعدل لم أنظر فيه أقسم لو أنها أعطتني ورقة بيضاء كنت لن أكتشف ذلك، الأمر لا يحتمل تأخير لم أشكرها حتى ومن ثم ركضت نحو القصر خمس دقائق تُفصلني عن الموت أركض وأركض حتى وصلت لأجد حراس الملك يبحثون عليّ يبدو أن الأمر لن يمر مرور الكرام أبداً، أطرق باب مكتبه برفق ليسمح لي أحدهم بالدخول بعدما أبلغ الملك بأنني الطارق، يد تمسك بالخطاب والأخرى خلف أسفل ظهري، أعطيه التحية المُتعارف

عليها لدى الملوك وبرغم أنني أرفض الانحناء لشخص إلا أنني قد فعلتُ !، لا يهم بشكل أو بآخر سينتهي العالم عن قريب حينها لن أضطر للانحناء، فخامة الملك الخطاب جاهز للنشر، عليك أن تطلع عليه وبدون أن ينظر إليّ قال وما هو العنوان الرئيسي للخطاب ؟ قلت العنوان الرئيسي هو " يجب علينا أن ننشر الحرب بيننا، حتى ننتصر " هز رأسه وأنا لا أعرف أعجبه العنوان أم أنه يفكر في طريقة لقتلي حتى تحدث أخيراً وقال : رائع، ليس لدينا وقت حتى أراجعه ولكن يكفي هذا العنوان الذي سيجعلنا ننتصر، أعطيته التحية مرة أخرى وانصرفت حتى أعطي الخطاب للذين يعملون في الصحيفة وبالفعل سلمته وغدوت في النوم حتى أستيقظ باكراً لأرى مفعول هذا الخطاب على العالم أو بالأحرى أستيقظ لمشاهدة العالم وهو ينتهي ..

- عادةً ما أستيقظ على صوت إطلاق النار والإنفجارات ولكن اليوم مختلف، لم أسمع شيء ! أخرج خارج القصر أنظر يميناً ويساراً لأرى حلم لن يتوقعه أكثر المتفائلين، الجميع يسير والابتسامة على وجههم، لا يوجد طائرات في الأعلى، الأشخاص يتصافحون ويتبادلون الحديث، تأكدت بأن ذلك حلم عندما رأيت مجموعة من الشباب يعزفون ألحان موسيقية والنساء يرقصن عليها فرحاً ! قلبي يدق ومعنى ذلك أن "حسناً" قريبة من هنا وبالفعل رأيتها مقبله عليّ والابتسامة أيضاً تملؤها، الأمر الأكثر غرابة هم

حُرّاس الملك أصبحوا يقتربون مني أكثر وينظرون إليّ
بترقب، تبدلت ملامح "حسنا" أصبح تركض الآن نحوي،
وأنا لا أفهم شيء حتى وصلت إليّ لثُمسك بيدي وتقل بلهجة
يغلبُ عليها الخوف: علينا أن نهرب سريعاً، لم تكمل حديثها
لأرى حُرّاس الملك يركضون في اتجاهي فأصبحت أركض
أنا الآخر وكأنها مُسابقة للركض، تمكنت بأعجوبة الهرب
منهم وبفضل "حسنا" أيضاً التي سلكت طُرق لم أراها من
قبل، نخبئ الآن في إحدى المنازل المهجورة وعادت
ابتسامتها مرة أخرى! أنظر إليها نظرة حادة لأقل: ما الذي
يحدث؟ أنا لا أفهم شيء وأنتِ تبترسين! أخرجت من
حقيبتها جنرال لتضعه أمامي وتقل أقرأ، لقد حذف حرف
الراء وكنت أعلم أنك لن تراجع لِقصر الوقت، أمسكتُ
منها الجنرال بشدة لأجد العنوان الرئيسي للخطاب هو "
يجب علينا أن ننشر الحب بيننا، حتى ننتصر" حُب! أي
حُب تتحدثين عنه، وكيف تجرأت على فعل هذا، هل تعلمي
ما سيحدث لي إذ أمسك بي الملك! سأعدم يا "حسنا"
داعبت أناملها وجهي لتقل بصوت منخفض: ومن قال لك
بأنه سيُلحق بنا! أترى العالم الآن، الجميع يعيش في سعادة
بكلمة واحدة فقط حذف منها حرفاً، صدقني هذا أفضل بكثير
من الخراب الذي كُنّا نسكن فيه، العالم أصبح "قنبلة"
موقودة يا عزيزي، اقتربت مني أكثر لأشعر بأنفاسها

تضرب وجهي لتُقَلِّمَ لا نُسْقِطُ حرف النون !..

ولكني أعلم بأن خيالي يوماً ما سيُقودني إلى مكان أقل "
خُسارة فيه هي الموت "

الجزء الثالث

1- الهارب

- أركض، أحاول الهروب لكنه يُسرِع خلفي، يُحاول الإمساك بي، أفلتُ من قبضة يدهُ بِطريقة رائعة. أسقط، أتحمل على نفسي وأنهض، أنفاسي مُتقطعة، كاد أن يتوقف قلبي من الركض، أقفز في محاولة للاختباء حتى لا يراني، سُحِقاً لقد رآني؛ عليّ أن أُغير مكاني فوراً، أتابع الركض ولسوء حظي تعثرت قدمي في شيء ما وأصبحتُ نائم على ظهري، أصبح خلفي تماماً! أصبح قريب مني بِدرجة كبيرة، عينه تنظر لي بعين الانتصار، أرى لُعبه يسيل وكأنه سيأكلني، يده تقترب كي تُمسك بي أرجع إلى الخلف بِخطوات ثقيلة، أرجع بِظهري وبمُساعدة يدي ولكن أعصابي لم تُساعدني، التوتر والقلق وضربات قلبي كادوا أن ينهوا بِحياتي في لحظة، أحاول أن أُسرِع للخلف بِكُل ما

أُتيتَ من قوى ولكن دون جدوى، يده تقترب مني أكثر
أصبح قريب للغاية، سيفتك برأسي إن أستطاع الإمساك بي،
أرجع على ظهري ولأنني شخص لم يُحالفه الحظ أبداً فقد
وصلت إلى طريق مسدود، الآن لا مفر من الهرب، العرق
ينصب على جبيني كأنه شلال ضخمة، أبكي وأتوسل له كي
أستعطفه ولكنه لا يكثر لذلك، لقد أمسكني هذا العملاق،
ينظر إليّ بعين يملؤها الشر والكرهية، يقبض عليّ بيده
وكانني نملة بالنسبة له، سبابة يده تُغطي وجهي بأكمله،
أنفاسي تكاد تنعدم، تذكرت السكين التي في جيبني لتمثيل
آخر مشهد، أضع يدي في جيبني بصعوبة بالغة وأخيراً
تمكنت من جلبها ومن ثم غرزتها في باطن يده كي تنكسر
السكين وكانني وغزته بإبرة ضعيفة، فتركني من يده كي
أسقط على تلك المنضدة الضخمة في حين أنه تفقد يده فلم
يجد سوى نقطة دماء حزينة لا حول لها ولا قوة ! عاود
النظر لي مرةً أخرى فلم يجدني، لقد أسعفني الوقت كي
أتمكن من النزول من على المنضدة، أختبئ الآن في مكان
لا أظن أنه سيلحق بي، التقط أنفاسي، أفكر في الأمر
وأبكي، هذا الكاتب المخبول -واسع الخيال- يُريدني بطلاً
في روايته، أعطاني سكين وطلب مني أن أقتل والدي كي
أرثه، يُريدني أن أصبح شيء يحدث ضجيج لدى القراء
ومن ثم يُصبح مشهور، وأنا أظل نادم طيلة عمري على ما
فعلته، الكتاب جميعاً لم أرى فيهم كاتب واحد فقط على

الأقل يكثرث لحياتنا بعدما ينتهي من روايته، جميعهم يبحثون عن الشهرة والمال، لِمَ تجعلونا دائماً كالدُمى تلعبون بنا كيفما شئتم ولا تنظرون على حياتنا القادمة، تتركنا محل للشك وأحياناً تتركون نهايتنا مفتوحة كي يعبث أي قارئ بها، لِمَ لا تقولون أننا ...

يا للهول لقد أمسك بي هذا الكاتب المخبول مرةً أخرى، ليضعني في الرواية مرةً أخرى، يدي تُمسك بالسكين وتُرفع لأعلى - رغماً عني-، والذي يقف أمامي وينظر إليّ في دهشة أحاول أن أمنع حدوث ذلك ولكن هُنالك قوة خارجية تدفعني لفعل ذلك، أنظر للكاتب لأجده قد وضع نقطته الأخيرة، الدموع تسيل من عيني، أغمضت عيني وبدون رحمة قد غرست السكين في قلب والذي ..

2- لعبة الموت

- قالت "لينا" وهي تصرخ : لقد علقنا في رمال متحركة، لترد عليها "آسيا" بانفعال : ماذا تقصدين ؟ أسنموت هنا ؟ أرجوك قلّي أننا سننجو، طفلي تنتظر عودتي إليها، وظلت تبكي -كالأطفال- في حين أنني مازلتُ ثابتاً، لا أعرف سر ثابتي هذا أكان لأنني شخص عقلاي أم أنه لعدم تخطي الرمال ساقي ! بدأت أفكر، أنظر يميناً ويسار لعلّي أرى أي شيء يستطيع إخراجنا من هنا ولكن دون جدوى، صحراء واسعة، أنقذوني أنقذوني هنالك أحد يمسك بقدمي من الأسفل قالتها "لينا" بعدما كادت الرمال تغطي جسدها بالكامل، أنظر عليها فلم أجد سوى معصمها ظاهر فقط ! أمد يدي وأخطو إليها بخطوات ثقيلة وقدماي كلما تقدمت تغرس في الرمال أكثر، حالة من الهلع أصابت "آسيا" عندما شاهدت اختفاء "لينا" أمام عينيها، أنادي عليها ولكنها لم تجب، "آسيا" أبق مكانك لا تتحركي لا تحركي يدك حتى ! ولأنها بلهاء ظلت تبكي وتصرخ حتى اختفت هي الأخرى، لم يبقى

سواي وكالعادة أقف وحيداً في مثل تلك الأمور، الرمال أصبحت في إرتفاع صدري، وبدون مُقدمات شعرت بأن قدماي تُمسك من قبل أحدهم، ابتسمت لأنني أخيراً سأعرف طريقهم، أنفاسي تُحبس لثوانٍ، لا أستطيع فتح عيني، أذني تؤلمني بشدة ومن ثم أسقط أرضاً، أحاول فتح عيني بصعوبة بالغة، أزيح الرمال من على وجهي، أتفقد المناطق التي تؤلمني أثر السقوط، أنظر من حولي لأجد ما لا يُصدقه عقل ! أركان الغرفة من الصُخور الصلبة يوجد على الحائط بعض المصابيح بدائية الصُنع وأكثر ما أثار دهشتي هي تلك الجُثث المُعلقة على السقف، يبدو أنها حديثة فلم تتحل بعد، العظام في كل مكان، رائحة الموت من حولي تُثير اشمئزازي، أبحث عن أي مخرج ولكني لم أجد سوى غرفة مُحكمة من جميع الجهات، يبدو أنني سأموت هنا، أسير كي أتفقد حوائط الغرفة باحثاً عن أي باب سري -كما يحدث في الأفلام- لفت انتباهي صوت تحطيم صخور من خلفي أنظر لأرى فتاتين يخرجان من باب في الحائط وبصُحبتهم شخص ضخم يحمل عصاه بدائية يضربهن على رؤوسهن كي يتحركن أمامه ومن ثم يُغلق الباب فور دخولهم، يتحدث هذا الشخص الضخم بلُغة لا أفهمها لا أظنها لُغة مُتعارف عليها فأنا قد إطلعتُ على لُغات العالم بأكمله ولم أستمع للُغة من قبل ولكن لا يهم يبدو أنه يُريدني أن أتبعه بصُحبة الفتاتين، تابعت السير معه حتى وصلنا إلى حائط آخر ليُفتح

هو أيضا لندخل منه جميعاً، طريق مُظلم وِعظام أسفل
أقدامنا، نسير حتى توقف هذا الشخص ليدخل ممر آخر
لنجد أننا أصبحنا في عُرفة أخرى يوجد في مُنتصفها كُرسی
يجلس عليها شخص له هيئته يبدو أنه الحاكم هُنا ! والغريب
أنه ينظر لي وكأنه يعرفني والأغرب أنه يتحدث اللُغة
العربية ولكن كيف عَرَف لقي لي يُناديني به ! نقف أمامه
نحن الثلاثة ومِن خلفنا هذا الشخص الضخم، وضع أمامنا
صخرة مُحدبه كالسكين ليُقل : شخص واحد فقط سأسمح له
بالخروج مِن هُنا وأنتم ستختارونه، ولكن يجب أن تعرفون
شيء، عندما يتجرد الشخص مِن الأشياء التي يحُبها
سُصبح حياته أفضل، لن تجد حينها ما يُتعب قلبك، البشر
يظهر حُبهم لك حينما يحتاج شيء منك، ينظر لي ليُكمل :
حتى ولو كانت زوجتك، سَتُفضل نفسها عنك عندما يتعلق
الأمر بموتها، كلانا ينظر إلى الآخر، يبدو أن المعركة
ستبدأ أمسكت الفتاة الأولى بالأخرى كي تضربها في
مُنتصف رأسها بهذا الشيء المُشابه للسكين لتسقط أرضاً
ومِن ثم تنظر لي وتُقبل عليّ، تفاديتُ لكماتها الأولى ولكنها
أصابتني في المرة الثانية، أتفقد أنفي لأجدها تُنزف، أشعر
وكانني أعرف تلك الفتاة وكان هذا سبب غفلي عندما
سرحتُ في ملامحها ولكن على أي حال يجب أن أخرج مِن
هُنا وبلكمة واحدة في وجهها جعلتها تسقط هي الأخرى،
نظرتُ للحاكم في نظرة توحى له بأنني قد انتصرت والآن

يجب أن أخرج من هنا، أعتدل في جلسته ليقول : وماذا إذ
قُلْتَ لَكَ بأن هذين هما زوجتك وأختك، اتسعت حدقت عيني
ولكن كيف لا أتذكرهم، أسير كي أتفقدهم ولكني لم أكمل
لوجود شيء كالبئر في مُنتصف الغرفة وقد سقطت فيه،
أسقط بسرعة شديدة لا أستطيع أن أفتح عيني من شدة
الهواء الذي يُقابلني، وفجأة أسقط من أعلى أتفقد المكان
لأجده منطقة قريبة من بلدتي، أرتب ملابسي وأسير حتى
أصل إلى المنزل، أستريح قليلاً كي يرن هاتفي ليعلم عن
وجود رسالة جديدة، أحضر الهاتف وأتطلع فيها : " أحسنت
صُنْعاً، كُنْتَ أعرف أنك ستفوز ولكن إياك أن تُخبر أحد عما
رأيت حتى لا نُحضرَك إلينا مرةً أخرى " لم أفهم مضمون
الرسالة ولكن لفت انتباهي أنه يوجد رسائل سابقة بيننا،
أنظر على أول رسالة : إن كُنْتَ من مُحبي المُغامرة فأنضم
إلينا، " دارك ويب " تُعني الإثارة والتشويق .. رسالة أخرى
" طالما أرسلت إلينا رسالة فلا يُمكنك الهروب منا، أحضر
زوجتك وأختك وسنصف لك العنوان، ولكن تذكر بأن لدينا
قوانين خاصة ولا نخشى أن تفضح سرنا لأن بمجرد
دخولك إلى عالمنا ستفقد الذاكرة تماماً " رسالة ثالثة " تِلْكَ
هي الحياة لا أحد يُعنيه أمر غيره، من المُمكن أن يظهروا
كالجبال في ظهرك وعندما تحل العاصفة عليك ستجدهم
" يتبخرون كالدُخان بالضبط "

لا أُصدق ما أقرئه، كيف حدث كُل هذا ؟ الدموع تتساقط من

عيني دمعة تلو الأخرى، لم يُقف بكائي سوى رنين الهاتف ليعلن عن رسالة جديدة: " أتود أن تُجرب مُغامرة أُخرى " فكرتُ في الانتقام حينها، وأرسلت تلك الرسالة " نعم، أنا مُستعد لمُغامرة جديدة ولكن سأجلب شخص آخر معي "

3- زوجة زوجي

- زوجة زوجي الأولى عادةً ما تطلبُ أشياء غريبة، أشعرُ أن أسهمُ الغدر قريبةً من عنقي، أذكرُ أول يومٍ كانت مُصرة علي أن نبقى نحن الثلاثة في منزل واحد وليس هذا فقط بل استكانت في عُرفتها طيلة أول يومٍ في زواجنا، كُنت أشعرُ بأن عُزلتها تلك تُشبه الأفعى حينما تنقض علي فريستها، أنتظر اللدغة ولا أعرفُ من أين ستأتي ولكني لم أستمتع بأول يومٍ في عُرسنا بسبب تفكيري في كُل الأشياء التي فعلتها، لمّ لمّ تطلب منه أن يشتري لي أو لها شقة جديدة، ولمّ تركتنا في أول يومٍ وجلست وحيدة ! لمّ تُعاملني مُعاملة حسنة وكانني لستُ الزوجة الثانية بالتأكيد هُنالك سرّاً لا أعرفهُ وعليّ أن أكشفه قبل أن تُنفذ ما تُفكر به، وفي نهاية اليوم الأول كُنتُ أجلس بجوار زوجي علي الفراش حيثُ زاد شكّي أكثر عندما قال لي بأنه لا يعلم سر إصرار زوجته علي أن يتزوج مرةً أُخرى ! وفي صباح اليوم التالي قررت أن أتوخي الحذر في كُل خُطوة أخطوها وأن أجعلها تترك المنزل كما قالت لي والدتي بالضبط، خرجتُ في الثانية

ظُهرًا لأجدها تجلس وأمامها طعام وكأنها تنتظرني، نظرتُ لها بترقُب ولكنها قابلتني بابتسامة جعلتني أصدقها، طلبت مني أن أتناول الطعام معها ولا أعرف كيف طاوعتها، لقد كانت في ابتسامتها شيء من الصفاء يجعلك لا ترفض أي طلب، تنظر لي وكأنها تنتظرني أن أكل في حين أنها لم تأكل، أهذه هي المكيدة إذن ! سُم في الطعام كي تُنهي بحياتي يا لها من امرأة حقيرة، استأذنت مني بعدما قالت أنها ستتركني أكل علي راحتي وأنها أعدت هذا الطعام من أجلي، مُحتمالة تنصّب التابوت ومن ثم تبكي علي حمله ! قررتُ حينها أن أرُد لها الصفحة صفعتين "جاك" هو كلب لديها تحبه ولا تستطيع أن تعيش بدونه كما قال لي زوجها من قبل، سأعطي له هذا الطعام المُسمم وبالفعل لم يمضي ساعة وكان هذا الكلب مَيّت ! بكت عليّ وكأن والدها قد مات وهذا أسعدني بشدة ولكني ظهرتُ عكس ذلك بسبب ابتسامتها الدائمة في وجهي ومُعاملتها التي تبدو وكأنها جيدة، مر تقريبا سبعة ليالي أظن أنها كانت تُفكر في مصيبة جديدة وبالفعل كُنت ذاهبة في مرة كي أستحم لأجد زر إنارة الكهرباء مُعري، أتريد أن تُنهي بحياتي كجُثة مُفحمة في المرحاض، تبا لها وتبا لي لأنني لم أسمع حديث والدتي بعدم الجلوس معها في منزل واحد ولكني أخطأتُ وعليّ أن أنتقم منها بأبشع الطرق المُمكنة، قررتُ أن نحتسي ليلاً فنجال من القهوة ولكنها مغطاة بالسُم الأسود وبالفعل

وضعتُ في فنجالها ما تستحق ودعوتها كي نحتسيه، تجلس أمامي علي كُرسِي ويفصل بيننا منضدة وبدأت في أول رشفة وبدأتُ أنا في أول سؤال : أنتِ لمّ تحزني لزواج زوجك مرة أُخرى ابتسمت ثم قالت نحن النساء رغم أنهم يقولون عنا بأن كيدنا عظيم إلا أننا لم نستطيع أن نفهم الرجال حتى الآن، لمّ نُسلم بشيء يأبى الجميع التفكير فيه حتى ! ألا وهو أن الرجل يستطيع أن يُحب امرأتين ويكون إخلاصه لهن حقيقي ! أنا سعيدة لأنك ستُشارِكيني كل شيء، الوقت الذي لا أقدر علي سعادته تتولي أنتِ الأمر، إن مسألة تعدد الزوجات مُعقدة والنساء يفكرن فيها بطريقة مُغلقة، صدقيني إن الأمر لا يتعلق بمقدار حُبه لكِ أو أنه مثلاً مل منكِ بل بالعكس الرجال يحبون التغير يعشقون التنوع ولا يهوى الروتين وقانون الامتلاك، بدأ العرق ينصب علي جبينها وبدأتُ في القلق ماذا لو كانت تُعاملني بالحُسنَى فعلاً وكُل ما حدث سوء تفاهم لا أكثر، أخذت الرشفة الثانية وسألتُها السؤال الثاني قبل أن يفوت الأوان ماذا عن كلبك "جاك" ؟ -

الدموع تتجمع في عيناها، كان مريض وكُنْتُ أعلم أنه حتماً سيموت ولكني تفاجئتُ وسعدتُ عندما علمتُ بأنك قد تقاسمتي الطعام معه، وأنك قد أحببتِ ما أحُبه ولكنه لمّ يستطيع أن يُكمل الطعام ومات فأكملتُ الطعام أنا مكانه، اتسعت حدقت عيني في حين أنها أمسكت بِبطنها وأكملت،

ولكني أشكرِكِ علي موقفكِ النبيل مع كَلبي ولن أنسى حِفاظِ
اللهِ عليّ عندما عاملتُكِ مُعاملةً حسنةً فنجوتُ من ماسِ
كهربِي كاد أن يقتُلني في المرحاضِ، يبدو أن عُلافِ زرِ
المصباحِ قد تَلَفَ وتساقطَ، بدأتُ تتألمُ يبدو أن السمِ قد توغلَ
في معدتها، حاولتُ أن أمنعها من الرشفةِ الثالثةِ ولكن
الفنجالِ قد سقطَ من يدها واصطدمتُ رأسها بالمنضدةِ لِتسيلِ
الدماءِ من فمها ! لقد قتلتُ أولَ امرأةٍ تؤمن بتعددِ الزوجاتِ،
لن أنسى نظرتها لي أبدأً، قدماي بدأتُ تؤلمني أحكها بيدي
لأجدُ أن اللحمِ قد خرجَ في يدي !! ومن ثم أفرعُ كي أستيقظُ
علي أسوءِ كابوسِ قد عِيشته في حياتي، حمدتُ اللهَ علي أنه
قد كان مقدرِ حُلمِ وأنني قد تعلمتُ من الدرسِ، أنظرُ بجانبِي
لأجدُ زوجِي مازال نائماً ومازلنا في ثانيِ أيامِ زواجنا،
خرجتُ من العُرفةِ لأجدها مازالت تستكين عُرفتها، طرقتُ
عليها البابَ لِتفتحَ لي بابتسامتها المُعتادةِ، طلبتُ منها أن
نجلسَ سويا رحبتُ بالفكرةِ جداً بعدما باركت لي علي
زواجنا، تحدثنا في كُلِّ شيءٍ وأشدتُ بِروعةِ شخصيتها
وجمالِ رونقها، احتسينا القهوةَ سويا ثم قُلتُ لها أنكِ أفضلُ
امرأةٍ قد قابلتها في حياتي، كما أننا سنُصبحُ أصدقاءً.. ياإلهي
معدتي تؤلمني بشدةٍ ..!

4 - قتل خطأ

- لقد علم والدي أنني في علاقة مع شب، أعلم أنني قد أخطأت ولكنه هو المُخطئ الرئيسي، كان دائماً يقسو عليّ، يُناديني بأبشع الألفاظ، يُسب والدتي لأنها أنجبتني، لم أكن أعلم لم كل تلك الأشياء التي يفعلها لم أكن أعلم معنى كلمة أنني عاهرة ووصمة عار عليهم كنت صغيرة ولم يستوعب عقلي كلك تلك المُصطلحات وعندما كبرتُ كنتُ أنادي أصدقائي بتلك الألفاظ فكانوا ينفرون مني ولا أعلم السبب ! لقد أحببتُ هذا الشاب لأنه عوضني عن أشياء لم أجدها في والدي، عرفتُ علي يدُه كيف يحنو الأب علي طفله المُدلة، لقد أعادني إلي أيام الصبا وفعل كل شيء لم يفعله والدي معي، أذكرُ أنه في يوم من الأيام أهدني هدية غريبة جداً، لقد أهدني خنجر ! ضجرتُ من الموقف حينها، كيف تجرأ علي حمل ذلك الشيء، ربت علي كتفي وقال أنه يجب عليّ أن أضعه في حقيبتني لعودتي المُتأخرة دائماً من عملي ولكنني رفضتُ بالطبع، لم تكون لدي الشجاعة علي حمل شيء كهذا، وانتهى الأمر بوضع الخنجر في صندوقي الأسود المُخبئ أسفل فراشي، ومنذُ فترة كنتُ أقف معه وأنا

أحتسُ بأن هُنالك شيء سيحدث وبالفعل قد لمحني والذي
أقف مع هذا الشاب لم أستطع تمالك أعصابي من الفرع
والخوف، أنا لا أذكرُ ما حدث لأنني قد أغشى عليّ من شدة
الخوف ولكن بالاستبطان لقد ضَرَبني والذي ضرباً مُبرح
حتى سالت الدماء من أنفي وجميع أنحاء وجهي لم يكف عن
الضرب لأنه رأي كل تلك الدماء بل تُقف عندما أنجنتني
الناس منه، أستيقظُ لأجدني في عُرفتي، وقد أقسم أنه لن
يُخرجني منها أبداً إلا في حالة موتي ! مر سبع أيام تقريبا
ولا أنكر كُنت أفضل الجلوس بمفردي وكُنت أعتقد بأنه
عقاب في صالحني ولكن عندما دخلتُ في أسبوعين وحيدة
والطعام يمر لي من أسفل الباب بدأت أشعرُ بأن هُنالك شيء
يمتلكني وهو شبح الوحدة، في اليوم العشرين بدأت أستغيث
وأطرق علي الباب " أنجدوني، أنجدوني " أقسم بأنني
سأموت لو ظلتُ يوم آخر هُنا، ولكنهم لم يلتفتوا لندائي، جُن
جنوني فأصبحتُ كمريضة نفسية أصابتها حالة من الفرع
والجنون، أحطم كُل شيء يُقابلني، أصدم رأسي في الحائط
فتسيل الدماء كي أسقط أرضاً أحاول النهوض أقاوم اتكأ
على المنضدة فلا أستطيع الثبات كي أسقط مرةً أُخرى لتزيد
الدماء من حولي فيُغشى عليّ للمرة الألف بعد المليون
ولكنهم لم يلتفتوا لي بعد، أبي ذكي فلقد أخفى كُل الأشياء
الموجودة في عُرفتي التي من المُمكن أن أقتل بها نفسي !
اليوم قد أتممتُ شهر من عُزلتي وحبسي الانفرادي هذا، أنا

الآن أصبحتُ فُنبلة موقودة، تغيرتُ للأسوء وتغيرت معي
رغباتي وأهوائي أصبح الدافع الرئيسي لي هو قتل أبي !
ولكن كيف فهو لم يدخل عُرفتي طيلة الثلاثون يوم، عليّ أن
أبتكرُ حيلة كي يأتي إليّ، حاولت الصُراخ والنداء
والاستغاثة والكذب وكُل أساليب الإِدعاء إلا أنه لم يحضر
بعد، الخنجر ! تذكرتُ الخنجر ولكني لم أفكر في كيفية
حضور والدي إلي هنا، وبدأت الأفكار تنهال عليّ لم لا
انتحر كي يموت هو حُزنا عليّ فأتذكرُ أختي الصغيرة
والذي سيحدث معها بسببه فأراجع وأقلّ لنفسي يجب أن
يُقتل هو لا أنا، الثالثة عَصراً هو موعد قدوم الطعام لي
فكرتُ أن أُجرح يدي كي تُنزف الدماء منها وتخرج خارج
العُرفة من أسفل الباب حتى يأتي إليّ ويُخرجني لأنني قد
مُت، وبالفعل نجحت الخُطة الباب الآن يُفتح، أبي قادم
نحوي، ما قد حاولتُ فعله منذُ فترة يتحقق الآن، أبي يبحث
عني في أنحاء العُرفة ولا يعلم أنني أختبئ وراء الباب،
وبِضربةٍ مُحكمة استطعتُ أن أنهي كُل شيء، دخلت والدتي
علينا فصرخت حتى أغشى عليها ولأول مرةً أري أمي تقفُ
في صفي وأري الحُزن في عينيها عليّ هكذا، فبرغم أنني
أرُقد أرضاً والدماء من حولي شكلت بركة من الدماء إلا
أنني ومن مُنتصف عيني رأيتُ حُبها وخوفها عليّ وهذا ما
كُنْتُ أريده طيلة الفترة السابقة، ولكن عادةً ما تأتي الأشياء
بعد فوات أوانها، مراسم دفني كانت تدعوك للضحك لا

البُكاء، جنازتي اليوم اجتازت الاختبار بعلامة لم يحضر
أحد ! الجميع يكره والدي ويتجنبوا الحديث معه بعدما علموا
بأنه قد قتل بنته ! أنا لم أقصد هذا إطلاقاً كل ما أردته أن
يُعذب، لم أكن أتوقع أن ينفّر الناس منه ويكرهونه بتلك
الدرجة، كنت في الأعلى أبكي علي شكل جنازتي ومن ثم
أبتسم لأن والدي أصبح منبوذ ومن ثم ضحكتُ عندما رأيت
أحدهم يسير خلفي ويبكي بعلو صوته وكان هذا هو الشاب
الذي كنت في علاقةً معه ..!

الموت لا يقتل سوى الأحياء ..

الجزء الرابع

1 - لينا /

- اليوم سأعترف إلى "لينا" أسوء إقرار، عادةً ما يعترف الشخص بأسراره في حالتين فقط: أما يُضغَط عليه من قِبَل شخص أقوى أو سيأخذ مُقابل حيلة ذلك، وأنا غير مُجبر ولا أنتظر مُقابل، أقرت فقط لأنني شعرتُ بذلك ..

الإقرار الأول والذي يعرفه الجميع عدا أنتِ، أنني يا "لينا" قد أحببتكِ سرّاً؛ في كُل مرةٍ أُغازلكِ فيها بكلمة "حبيبتي" كنتُ أفُلمها بِمعناها الحرفي وليست كما تعتقدين بأنها مُزحة أو ما شابة، اهتمامي الزائد وحرصني الدائم على تناول طعامكِ ونومكِ باكراً كُل تلك الأشياء لم تكن نعم الصداقة مني بل كانت لأنني أُحبكِ ..

ما أصعب أن تُعامليني على أنني صديق وأنا أُعاملكِ على أنكِ حبيب، حاولت كثيراً أن أقرت لكِ بذلك ولكني كنتُ أخشى فُقدان صداقتنا، أكنمُ حُبِّي لكِ ويزداد لهيب قلبي أم أقرت وترحلين من حياتي نهائي وما أبشع أن تكون حائر بين خيارين كلاهما سيؤديان بكِ إلى التهلكة،

وبين هذا وذاك ضاع عمري هباءاً ..
الإعتراف الثاني وهذا الإعتراف لا يعرفه سوى شخص
واحد وهذا الشخص الذي جاءني منذُ فترة وطلب مني
أن أقربكم إلى بعض لأنك تُشغلين ذهنه ويريد الارتباط
بك، أتعرفين معاناة شخص يُحبك يأتي إليه شخص آخر
كي يُقل له أنه يُحبك ! بالطبع لم أستطع تمالك أعصابي
حينها ولكني كنت أخشى أيضاً أن يعرف أنني أُحبك
فيُخبرك، فاكتفيت وقتها بقولي له أنك تُحبين شخص آخر
وستتزوجين منه عن قريب ونصحته بأن يبتعد عنك لأن
أباك إذ أكتشف أن هنالك شخص يُريد الارتباط بك وأنت
مُقبلة على الزواج فحتماً سيقتله، أعذريني إذ قسوتُ عليك
ولكني لا أريد أن يقترب منك شخص غيري، وما
أصعب أن تحرص كل الحرص على شيء أنت لست
مالكة ..

الإعتراف الثالث والأخير -حالياً- وهذا الإعتراف لا
يعرفه أحد مُطلقاً، قبل رحيلك بأيام فكرتُ في عدة أشياء
أهمها أن أتقدم إلى خطبتك ويكون الأمر واقعاً وحتى
تتأكدين من مشاعري قررت الذهاب إلى والدك وأن
أعترف له بحبي لك ويكون الاختيار لديك وإذ رفضتِ
فلن أكون خائن ل صداقتنا فأنا فعلتُ ما أمر الله به، فلذلك
ارتديتُ أفضل ملابس ووضعتُ من عطرِكَ الرائع
وذهبتُ لمنزلك، حينها لم أجد أحد بالمنزل ! وقد أخبرني

أحد الجيران أنكم في المستشفى لمرضك بذبحة صدرية،
أسرعت في الوصول إلى هناك ولكن كان علو صوت
جهاز رسم القلب أسرع من نبضات قلبي التي لم تهدأ
فور علمي، وما أصعب أن تُقرر الاعتراف بعد فوات
الأوان وما أبشع أن تأتي متأخراً في شيء مثل هذا..
أنت الآن تنامين وأنت مُبتسمة فور سماعك لحديثي وهذا
ما أريده بالضبط، أُحبك يا مَنْ علمتني بأن الاعتراف
بالحُب فضيلة والسكوت عنه جريمة ستُعاقب بها عاجلاً
أم أجلاً..

لينا //

- "لينا" أتتذكرين هذا العطر الذي أهديتني إياه في مناسبة
عيد ميلادي؟.. وبرغم التهاب جيوبي الأنفية إلا أنني
كُنت حريص كل الحرص أن أضع منه في كل مرة
نتقابل فيها حتى لا تشعرين بعدم سعادتي بهديتك،
صراحةً كُنت أشعر بالراحة حيال ذلك؛ غير مُبالي
للعواقب التي سرعان ما تلحق بي عندما أشتُم الرائحة،
أتتذكرين "الكافية" الذي كُنا نجلس فيه سوياً وسؤالك
الدائم لي: " لم أنت مُحمر الوجه؟ " وكُنت أكذب وأقل

بأن الطقس حار بعض الشيء، الأمر لم يكن هكذا بل أنني أنزعج من الأماكن المزدحمة، تُصيبني بضيق التنفس وعدم الارتياح كما أنها تجعلني أشعر ببعض الخجل وهذا لأنني كنت مُنعزل لأقصى درجة مُمكنة ولا أعرف شيء عن كيفية التصرف في الأماكن العامة بالأخص الأماكن المزدحمة.. أتذكرين أول مُكالمة هاتفية تمت بيننا وبعد ثلاثون دقيقة طلبتُ منك أن نُكمل حديثنا على تطبيق "الماسنجر" من خلال حاسوبي لأن هاتفي أوشك على إفراغ شحنه ! بالطبع تلك كانت حيلة مُبتكرة كي أنهي حديثنا عبر الهاتف، لستُ من هواة الترترة عبر الهاتف، فمي مُكبل عقلي لا يعرف خلق الأحاديث؛ كما أن "تهتهة" كلماتي تُصيبني بالخجل، قبل مجيئك كانت مُكالماتي لا تتعدى الدقيقة والنصف إذ كان الأمر في غاية الخطورة..

تلك ثلاثة أشياء -ولو أردتِ مئات المواقف لقلت- تُثبت أنك غيرتِ حياتي للأفضل كما أنها تُثبت أنني ... لا يهم أن تعرفي، ولكن الذي يجب أن تعرفيه هو أنني الآن وبفضلك أصبحت أضع من عطركِ دون أن أشعر بالألم في أنفي، أصبحت أجلس في مُنتصف الأماكن المزدحمة دون أن أضجر ويحمر وجهي، أصبحت أتحدث لساعات طويلة عبر الهاتف مع أصدقائي دون أن أخجل، ما أجمل أن تجد مَنْ يُغير حياتك للأفضل ويجعلك تفعل ما كنت

تخشى فعله في السابق، أن يُثبت الشخص حُبه من خلال أفعاله لا حديثه، كُل هذا كان بِفضلِكِ أنتِ، علمتني جميع دروس الحياة دون أن أشعر بذلك وكان آخر درس عنوانه بأن الموت هو الحقيقة الوحيدة في حياتنا، ولذلك أنا الآن أتألم أشدُّ ألماً ..

لينا ///

- خِطاب يُفترض أن يَصِل إلى "لينا" صديقتي ولكنه لم يَصِل:

بدون مُقدمات، ما أبشع أن ننخدع في شكل زهرة ومن ثم نجد الشوك ينتظرنا؛ هل تعرفين لحظة الاحتضار ؟ لحظة خروج الروح من الجسد، هل تعرفين هذا الشعور ؟ بالطبع لا، وكيف تعرفينه وأنتِ لمّ تشعرين به من قبل. " يموت المرء مئات المرات ويحيا مرة واحدة " وما أعظم وجودك بجانبني في جميع حالاتي، لقد طبعتُ اليوم صورتكِ وعلقتها على الحائط المُقبل لِفراشي، أقسم أنني لمّ أنم من فرط التفكير والتحديق بكِ، وهذا ما جعلني أتراجع عن مُحادثتكِ ليومين؛ عادةً ما يواجه الشخص نوبات حُزنه بضجره وانفعاله عدا أنا كما علمتني دائماً

أن أقابل كل شيء بعناقك، أتتذكرين عندما كنا نجلس
سويًا ومن ثم استأذنتك للذهاب للمرحاض حينها لم أذهب
بل ذهبت -سراً- إلى عازف البيانو كي يعزف لحنًا
تُحبيه، وفور جلوسي أمامك قلت بأن هُنالك صُدف تحدث
لنا وعادةً لا ننتبه لها، فلذلك علينا أن نرى كل شيء بعين
شخص آخر، شخص يتمرد على كل الأشياء التقليدية
والمُتوقع حدوثها وأن ننظر على الغير مُتوقع حدوثه،
وبحركة درامية يغلب عليها طبع الذئاب نظرتُ يمين
ويسار وكأني أبحث عن شيء كي أضرب به المثل ومن
ثم ثبت نظري على المكان المُخصص للبيانو وقلت
كالبيانو مثلاً، أن يُعزف لحنًا نادراً نَحبه هذا شيء غير
مُتوقع حدوثه، ولم أكمل حديثي حتى تغير اللحن إلى
اللحن الذي تُحبيه كي تتسع حدقت عينك وتبتسمين، أقسم
بأن ابتسامتك تلك لم أنساها حتى الآن، الوضع صعب
صدقيني ستجدي تناقض بين حُروفي وكلماتي سأعبر
عن مدى حُبِّي لك ومن ثم ألتفت للخلف كي أبكي وأنا لا
أعلم السبب، ستجدي بين ابتسامتي لحظة سرحان في
شيء عقر ابتسامتي، كثرة أوجاعي جعلتني خائف
ومُتردد وأكبر مثال على ذلك أنني كُنت أنوي كتابة كلمة
واحدة في هذا الخطاب ولكني وجدت نفسي أكتب هذا !
صدقيني يا "لينا" أن عدم اعترافي لك بحُبِّي هو أكبر
دليل على حُبِّي وخوفي عليك، كُنت أتمنى أن تقرئين

خِطَابِي هَذَا أَوْ خِطَابِي الْمُكُونِ مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، كُنْتُ
أَتَمْنَى أَنْ أَرَى رَدَّكَ عَلَيَّ وَلَكِنَّكَ لَمْ تَفْعَلِي، حَتَّى يَنْدَرِجَ
هَذَا الْخِطَابُ إِلَى مِائَاتِ الْخِطَابَاتِ السَّابِقَةِ الَّتِي لَمْ تُرَدِّدِ
عَلَيْهَا، صِرَاحَةً لَا أَعْلَمُ السَّرَّ وَرَاءَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَحَدُهُمْ
نَبَهَنِي إِلَى شَيْءٍ هَامٍ أَلَا وَهُوَ أَنَّ الْمَقَابِرَ عَادَةً مَا تَكُونُ
عَتَمَةً، أَهَذَا صَحِيحٌ يَا "لِينَا"؟، أَرْجُوكِ أَجِيبِينِي ..

2 - نعيمة

"جوان 2010 8"

- هذا التاريخ نقطة فاصلة في حياتي، تغيرتُ بدون
مُقدّمات دون أن يرحمني العالم..
"نعيمة" أختي صاحبة أفضل ابتسامة بريئة في العالم،
توأم روحي رغم أنها أصغر مني بعام، ولكن قوة علاقتنا
ببعض جعلتنا كالتوأم الملتصق تماماً ..
لا أنكر أنها مُتفوقة عليّ دراسياً، رغم أنها لم تدرس غير
عامين، كانت تتحدث مع عائلتي باستمرار وكأنها كانت
تشعر..

في هذا اليوم تحديداً، كانت بصحبة أختي الصغيرة أتيه
إلينا والفرحة تملؤها، لقد نجحت في عامها الثاني
الدراسي، وبدون سابق إنذار تقيأت دم، تحملت على
نفسها في اعتقاد بأنه التهاب في المعدة أو ما شابه ولكن
حينها كان الألم أشد من تحملها فلم يكن لديها خيار آخر
سوى الاتصال بعربة الإسعاف ..
" مُستشفى "ميامي" بالعاصمة الجزائر "

علمت والدتي بالحادث فأخذت أخي وذهبت إليها، كان
حديث الأطباء مُحبط بطريقة مُبالغَة، إنصدمت والدتي
عندما عملت بأنها تستكين في غرفة الإنعاش بالأخص
غرفة الحالات الميؤوس منها ولكنها كانت تؤمن بأنه لا
يوجد بأس مع الله، إزداد الأمر سوء بجلطة في المُخ،
ونزيف داخلي والأكثر كارثة هو أن الدماء تنزف منها

كُلّما ضخ الطبيب دم خارجي الموضوع أشبه بأن تسكُب
ماء في إناء مثقوب ! سار هذا الحال لثلاث أيام ..
اليوم الرابع لها هو آخر اختبار لي وقتها، أتى إليّ خالي
حتى يُصلني إلى المنزل لمّ يقبل أن ينتظر حتى أنتهي من
بعض الإجراءات فكلفت به أصدقائي، وعُدت إلى المنزل
لأرى مشهد لن أنساه طيلة حياتي، الجميع مُجتمع الجميع
يكون ! لمّ تستطيع والدتي فعل أي شيء سوى أنها
اختطفنتي بين أحضانها وظلت تبكي، والغريب أنني
بكيْتُ لبُكاءها ولمّ أكن أعلم السبب وقتها ! أبكي وكان
هناك شيء يرغمني على البُكاء، حينئذٍ سقطت مُغشية
عليّ من شدة الصدمة، أستيقظ لأجدني بالمشفى، لمّ أكمل
ليلة حتى خرجت لزيارة أختي المريضة وكانت تلك هي
الصدمة الأخرى، كالجثة الهامدة كانت لا تتحرك ولا
تنطق وكان قلبي خرج من جسدي ليسقط في دلو من
الزيت المغلي، يا الله قلبي يحترق عليها ولكن ليس فيدي
سوى الدُعاء ..

عُدنا أنا ووالدتي إلى المنزل وظل أخي بجانبها، أذكر
كان الطريق ما يقرب من 300 كم، أقسم أنها لمّ تُغفل
عن ذهني لوهلة طيلة الطريق، وكأنك أتيتُ بسكين
ووضعتَه في مُنتصف قلبي أشعر بآلم شديد في قلبي،
أنظر حولي لعلي أجد مَنْ يُطمئن قلبي، وبالفعل رن
هاتف والدتي، الهاتف على أذنها، مازالت لا تنطق، أنظر

لها بترقب شديد، مازالت لا تنطق، العرق ينصب على
جبهتي، تتسع حدقت عيناها، أمسك بيدها حتى تكسر
صمتها، أهز كتفها أرجوك قلّي أي شيء قلبي يكاد ينفجر
وهنا سقطت أول دمة منها لتقل كل شيء دون أن تنطق
بحرف واحد، فغابت الحياة عني رغم أنني مازلت على
قيد الحياة..

3 - تحققت أمّيتي

- أُصِبتُ بالفزع فور سماعي لأسمي يُقال بعد جُملة "أنتقل
إلى رحمة الله تعالى"، لست مُصدق لم أسمعهُ. كيف ومتى
حدث هذا؟ هل هو تشابه أسماء لا أكثر! أم أنني أحلم
وسأفيق بعد دقائق، ولكنني تأكدت بأنه أنا المقصود عندما

سمعت صُراخ وبُكاء أحدهم في المنزل، دقائق قلبي تتزايد
الخوف يغمُرني، أخشى مواجهة الأمر أخشى فتح باب
عُرفتي، كانوا يَقلون دائماً بأن الإنسان عادةً ما يُحب أن
يسلك الطريق نحو إثبات صحة أمراً ما من عدمه ولا
يكثرث للعواقب، إلا أنا بالطبع .. سأثبت ماذا ؟ أثبت أنني
قد فارقت الحياة في ربيع شبابي دون أن أشعر، أثبت أنني
لم أستطيع أن أتغاضى عن أشياء جعلت حياتي تمر هباءً،
أثبت أنني أفنيتُ حياتي حزين بحُجة انتظار شخص يستطع
انتشالي من هذا المُستنقع ! أة يا ليتني صليتُ العشاء قبل
أن أغدو في النوم، يا للهول ! لقد عنفت والدي ليلة أمس
ومن ثم قالت أنها غاضبة مني ولن تُحدثني مرةً أخرى إلا
لم أراجع عما فعلته وأعتذر، تفاصيل حياتي تُعرض أمامي
الآن كمشهد سينمائي، كأنني الآن جزيرة وحيدة يُحوطها
الندم من جميع الجهات، عليّ أن أتجرأ كي أخرج من
العُرفة وبالفعل خرجت؛ لن أنسى هذا المشهد إطلاقاً،
الجميع يجلسون على الكراسي الجميع يبكون، أحدهم
تُحاول مواسة والدي، أخي غير مُصدق، والدي صامت
يقف بكبريائه المعروف هنا ولكني أُجزم بأن الحُزن ينتهك
خلايا قلبه من الداخل، أصدقائي يتبادلون الحديث مع
بعضهم " لقد كان معنا ليلة أمس، كيف فارقنا بتلك السُرعة
!" هُنالك فتاة مُغشى عليها، أنا أعرفها جيداً هذه "حبيبتي
لُبنى" أشعر أنني في حُلْم لا بل كابوس وعليّ أن أفيق منه

الآن حتى لا أفقد عقلي مما رأيته وأراه.. دخلت الغرفة مرة
أخرى في محاولة للسيطرة على أعصابي، أدعو الله بأن
يُنهي هذا الحلم، أقرأ ما تيسر من القرآن، إذ مُت حقاً
فاتوسل لك إلهي بأن تُعيدني للحياة مرة أخرى وحينها
سأكف عن عصيانك وأصلي ما فاتني من صلاة حتى لو
ظلتُ أصلي ليوم كامل دون انقطاع، رُدني إلى الحياة يا الله

..

الدموع تنزرف من عيني وهذا أشدُّ بُكاء من الممكن أن
تبكيه عند موتك صدقني، قاطع حبل أفكاري صوت
الصُراخ مرةً أخرى، أقفز من مكاني وأخرج من الغرفة
لنتسع حدقت عيني عندما رأيت جثمانِي يُشيع وتلك هي
أسوء جنازة من الممكن أن تسير خلفها، أسير بين
الأشخاص وأحاول إقناعهم بوجودي ولكن دون جدوى،
الجميع يبكي ولا يكثرث لندائي حتى وصلنا إلى ما يُسموه
مقابر ! أسرع كي أقف أمام الباب الحديدي حتى لا يدخلون
الجثمان ولكن دون جدوى أيضاً ! الآن انتهت مراسم دفني
والجميع رحل عدا أصدقائي ظلوا بجانبني يقرئون القرآن،
مر ساعة تقريبا ومن ثم رحلوا هم أيضاً، عُدت للمنزل
ولأول مرة أرى عائلتي في تلك الحالة، هل تعلم أن يموت
مَنْ كان يدعوك للحياة هل تعلم كم الألم حينها ! مرت سبع
أيام عليّ وأنا أراقب الجميع، الجميع في حالة ميؤوس منها،
لم يمر يوماً ولم يأتني إليّ أصدقائي حتى "لبنى" قد لبست

في المُستشفى لِتدهور حالتها الصحية .. اليوم العشرون هو
أول يوم يغفل فيه أصدقائي عن زيارتي وهو نفس اليوم
الذي خرجت منه "أبني" من المُستشفى، استتبّطت ذلك
عندما ذهبت إليها ولمّ أجدها، وبعد شهر تقريباً عادت الحياة
الطبيعية لدى الجميع حتى أصدقائي أصبحوا يتنزهون كي
يتناسوا موتي ! حقاً " عند موتي سيكون جميعاً ولكن
ستفتقدني والدتي " قررتُ وقتها الذهاب لمنزل "أبني" لمّ
أجدها هي الأخرى ! أنا الآن أجلس في الحديقة التي كُنا
نجلس فيها سوياً، أشتّم رائحتها بقُربي أنظر خلفي لأجدها
تسير في الطريق والابتسامة تغلب عليها ! أتلك التي قالت
لنْ أقدر على العيش بدون؟ أنظرُ إليها والغَيْظ يفتكُ بي ومن
ثم تنظرُ إليّ وتبتسم ...!

لا تحاول العبث معنا، وإذ حاولت لا تلومنا إلا نفسك

الجزء الخامس

1- آدم

- آدم هو طفلي الوحيد رغم أنني لا أنجب، ولكني قد أخذته وهو رضيع، كان حينها مُلقى أمام منزلي، وكان الله قد أهداني إياه، الآن أصبح لدية عشر سنوات، حديثه قليل بل قليل جداً، ينطق بكلمات لا أفهمها وعينه تُفز عني على فترات، في الثالثة من عمره فعل أغرب شيء يفعله طفل في العالم، يضم يده ويضعها على جبينه في المنتصف بالضبط ومن ثم على قلبه ليحركها علي الجانب الأيمن الموازي لقلبه، كُنت لا أعرف ما الذي يفعله أو كُنت أعتقد بأنه كأي طفل يلعب ويُحرك يده بطريقة عشوائية أما الآن أصبحت تلك الحركة واضحة وضوح الشمس عليه، حاولت أن أعالج الموقف ولكن الأمور تتأزم أكثر عندما أسعى في ذلك، كمثالاً عندما أتيتُ بشيخ صديق لي وعند قدومه إليّ انقلبت به السيارة، وعندما فكرت في اصطحابه إلي طبيب وفور دخولي لعيادته، خرج الطبيب مُسرِعاً ليطرُدني أنا وادم، وهُنا بدأت أتسأل هل هُنالك سر لا أعرفه أم أنها مُجرد صُدْف

لا أكثر وبالفعل اقتنعت بأنها صُدف حتى أفر عني في الثانية بعد مُنتصف الليل صوت يُشبه "صوت الحشرة" أضئتُ هاتفي كي أتمكن من الرؤية حينها أيقظتُ "نوال" زوجتي ولكنها لم تكثرث إليّ وأكملت نومها، قررت أن أكتشف مصدر هذا الصوت وكان توقعي في محلّه، الصوت نابع من عُرفة آدم، اقتربتُ أكثر من باب العُرفة ولكن الصوت أصبح مُتداخِل، طفل يبكي، امرأة تصرُخ، رجل يطلب النجدة، وآدم يضحك ! لم أكن أتجرأ على فتح الباب ولكني لا أعرف كيف حدث هذا !! لأجدني في غرفته دون أن أدخل من الباب ! العالم يدور من حولي، جميع الأصوات تُزعجني وتجعلني أشعر بالدوار، آدم يقف أمامي، يمد يده لي ليقُل: أهلاً بك في عالمنا ! الأصوات تهدأ، آدم يبتسمُ وما زال يمد يده، اتسعت حدقت عيني عندما رأيت شيء غريب على وجهه شيء بين عينيه يأخذ شكل هرمي وفي مُنتصفه عين أخرى غير عينيه ! أحاول النطق وكأن فمي مُكبل لِيتابع آدم حديثه : هكذا أنتم ناكرون للجميل، لن أنسى أنك قد رببتي في منزلك ولكن مُقابل ذلك فعلتُ معك شيء لا أظن أنك تعلمه أساساً، نوال زوجتك تلك قد ماتت في حادث عندما كُنت في الثانية من عُمرِي ولكني أعدته لك مرةً أخرى لأنني أعلم أنك تحبها، أة لو يعلم البشر بأن أغلب زوجتهم قد قتلوا وأن الزوجة التي تنام بجانبهم على

الفراش هي من عَشيرتنا وليست بشرية لَفقدوا عُقولهم يا
أبي، توالت عليّ الصدمات كالصاعقة، سقط هاتفي من
يدي، حاولت الاقتراب أكثر بعدما قال لي : هيا يا أبي
أنضم إلينا هُنا ستجد كُل شيء تُريده ستري زوجتك
الحقيقية، رُفعت يدي لا إرادياً لثُمسك بيده ولهُنا لا أتذكر
أحداث لأقولها بالأحرى لا أقدر على قول شيء مما
رأيتهُ، أكتب لكم رسالتي تِلْكَ وأنا في عالم لا أعرفهُ ولا
أعلم أين مخرجه، لا أستطيع العيش هُنا مُطلقاً، هذا العالم
السُّفلي كأنه كوكب آخر كوكب يُسمى " لوسيفر"،
رسالتي تِلْكَ لِكُل زوج وزوجته لِكُل عاشق وعشيقته
ولِكُل شخص يقرأ الآن، أرجوكم أرجوكم تأكدوا بأن
الذي يسكن معكم هو بشري وليس شيء آخر..

2- الأشباح المُختبئة في عُرفتنا

- قصتي اليوم تبدو مألوفة لدي الجميع، مل الجميع من قرأتها كما أنها ليست واقعية - من وجهة نظرهم- وغير مُرعبة، حكاية كأي حكاية تُحكى لنا حتى نفرع ونُنصت لحديث والدينّا، ونكف عن اللُعب والسهر ليلاً، قصتي تتحدث عن الأشباح المُختبئة في عُرفتنا بالتحديد أسفل الفراش، سأكشف لك سر من أسرار عالمنا ولكن تذكر بأن لكل شيء مُقابل، لست أقل ذلك لك من تلقاء نفسي بل أنا مُجبر على ذلك، كُنت أريد الحرية، لم يُنصت لندائي أحد، لم يتكفل أحد بمُساعدتي وبالفعل تم إطلاق سراحي ولكن يجب عليّ أن أدفع مُقابل أثر ذلك، ولأنني مُنصف سأعطي لك خمس دقائق كي تُفكر في الأمر جيداً، إياك أن تُكمل قراءة وأنت غير مُستعد لدفع المُقابل، هيا فكر جيداً وأعلم بأن الفضول قاتل فلا تُكمل إن كُنت ممن سيكون كثيراً ويجلسون ليلاً وحيدين والذين يتحدثون كثيراً في المرحاض والذين يتطلعون إلي أنفسهم في المرآة بتعمق، أصبح لديك دقيقة تقريباً لحسم الأمور، ستُكمل قراءة أم ستنصرف حالاً ولا تُخبر أحد أنك قرأت شيء غريب إطلاقاً، هذا لسلامتك صدقني..

لقد انتهت فرصتك في التفكير لقد أصبحت الآن أسير
لتلك القصة سنكملها للنهاية رغماً عنك وستدفع المقابل
أيضاً وأهلاً بك يا عزيزي..

هنا تبدأ قصتي، كنت في العشرين من عمري، لم يكن
الأمر مثل الآن، بالمناسبة عمري الآن ثلاثون عام، وأنا
في العشرين كانت تحدث أشياء غريبة في غرفتي، عندما
تحل الساعة الثانية عشر بعد منتصف الليل كأنه توقيت
حضورهم، لطالما أبي كان يفز عني من الأشباح في
الصغر لطالما كنت أريد أن أتطلع للأمر أكثر، رغم أنني
على يقين تام بأن حديثه مجرد هراء حتى إذ ثبت عكس
ذلك تماماً، نائم على الفراش، كنا في فصل الشتاء أذكر
ذلك، جسدي مُغطاة بغطاء يغطي جسدي بأكمله عدا
قدمي من الأمام، ولعلمي بوجود أشباح داخل غرفتي
كنت أُغطي وجهي كي لا أراهم، حتى دقت الثانية عشر
بعد منتصف الليل، أسمع حسيهم أسفل فراشي، أشعر
بأن هُنالك يد تتسلل كي تُمسك بي، أحاول أن أُخبئ
قدمي ولكن دون جدوى، حرارة يده تقترب أكثر من
قدمي، العرق ينصب من جميع أنحاء جسدي وبالفعل
تمكن بالإمساك بقدمي لأشعر بألم لا يُحتمل، أنهض
وأنيب المصباح وقلبي يكاد ينخلع من مكانه، أمشي علي
أنامل قدمي رغم الألم الشديد بها ولكن حتى لا أحدث
صوت، أقترب أكثر، أتجراً كي أنظر أسفل الفراش

ولكني لم أجد شيء ! في اليوم التالي وبعد مُنتصف الليل
أيضاً هواء ساخن يمر بجانب أذني، أصوات لأنفاس -
مُتقطعة - من خلفي، الظلام سيد الموقف، أحدهم يعبث
أسفل فراشي أنظر لأجدني بالأسفل أختبئ من الأشباح
الذين في الأعلى !!

في اليوم الثالث أُحاول النهوض ولكن هُنالك شيء يُكبل
قدمي، أفتح عيني لأرى أبشع مشهد شاهدته في حياتي،
قدمي مبتورة وموضوعه بجانبني، الغريب أنني لا أشعرُ
! . بألم والأغرب رغم إنها مبتورة، فإنها تتحرك بجانبني
مر عشر سنوات تقريباً على هذا الحال وكُل يوم وبعد
مُنتصف الليل يحدث شيء أكثر رُعباً من اليوم الذي
قبله، لقد حل الليل حان الموعد الآن، أنتظر ذلك الشبح
الذي سيظهر من أسفل فراشي كي يُحاول إخافتي ولكني
قد أعتدتُ الأمر، أنتظر وهُنالك حالة من القلق تنتابني،
الثانية عشر ودقيقة ولم يحدث شيء ! أتعجب من الأمر
أنظر حولي ولكني لم أجد شيء أيضاً، الثانية عشر
وخمسة عشر دقيقة، الفراش يهتز وكأنه زلزال قد ضرب
عُرفتي، أمسك بالغطاء بكُل قوتي حتى لا أسقط وتفاجئتُ
بأن الفراش قد أنقلب رأساً علي عَقب، الظلام دامس
الهواء له رائحة غريبة كشيء مُتعفن، الطقس حار، أكل
هذا أسفل فراشي ؟ كيف ومتى حدث كُل هذا ؟ ضوء
خافت يقترب عليّ، أدقق النظر لأجد أنني لا أستكينُ

أسفل فراشي ولا حتى بعُرفتِي أنا في غَرَفَة أُخْرَى، قُط
أسود أفرعني عندما أُلقي عليّ، هذا القُط أعرفه تماماً،
لقد ركَلته بقدمي من قبل، يبدو أن كُل ما يحدث من أجل
هذا القُط اللعين -كُنْتُ أعتقد ذلك- الضوء في الغُرفة
أصبح أكثر إنارة، أصبحتُ أرى كُل شيء بوضوح،
بوضوح للحد الذي يجعلني يُغشى عليّ من الصدمة،
شخص لا أعرف إذ كان بشري أم هو حيوان منقرض،
شخص لا أعرف سُلالته مُطلقاً، يجلس على كُرسي، يُسند
معصمه علي كَتفي الكُرسي التي يُزينها رأس أفعتان،
رأسه كُرأس الإنسان العادي ولكنها أكبر مرتان أو ثلاث
علي الأقل، لديه عين في مُنتصف جبينه تأخذ اللون
الأحمر، أسنانه كالدبابيس حادة جداً ويسيل منها اللُعب
بشكل مُقرز، باقي جسده كان بدين لدرجة أن الكُرسي كاد
أن يُكسر، يُمسك في يده عصاه غريبة لم أفهم تركيبها
فهي من الأسفل كأي عصاه أما من أعلى فكانت الصدمة،
شكل هرمي في مُنتصفه عين، يا إلهي تلك العين أعرفها
تماماً فهي عيني! أتحسس عيني بأنامل يدي كي أطمئن
عليها ولكني لم أجدها! أتحسس العين الأخرى فلم أجدها
في مكانها أيضاً، مهلاً مهلاً كيف أرى الآن، يضحك
عليّ هذا الكائن الجالس أمامي وكأنه سمع أفكارِي،
فتحدث بصوت بشع و غليظ ليقل، أحقق كعادتك لا تنظر
للأشياء من مُنطلق آخر، فكر في الأمر جيداً، لقد

أصبحتُ معنأً من اللحظة الأولى التي قد كشفتُ فيها عن
سِرنا، آدمِ طِفلكَ كان مُطيعَ لنا رغم أنه لم يحفظ السر،
ستُصبح أسير لنا مدى حياتك ولن تُحرر إلا في حالة
واحدة، لكل شيء هنا مُقابل وحُریتكَ مُقابلها طلب سأقوله
لكَ بعد قليل، ولكن يجب عليك أن تُظهر ولائكَ لنا، البشر
يتعاملون مع الأشباح على أنهم مُزحه وشيء يُستهان به،
سأعطي لك المعرفة الكاملة وكي تعلم سر الأشباح
الموجودة أسفل فراشك يجب أن تدفع المُقابل، لم أستطيع
أن أنفوه بكلمة واحدة وكأنني لم أتعلم كيفية الحديث في
الصِغر لم أستطيع فعل أي شيء سوى تحريك رأسي في
حركة توحى بالموافقة ! ابتسم بأسنانها المُقرزة تلك وتابع
حديثه ليقل : الأشباح حولكم في كل مكان خاصةً أسفل
فراشك، تُراقبك باستمرار تفعل ما تحلو لها بك بعد
منتصف الليل ولكنكم أغبياء، الأشباح لا تُرى، عليك أن
تُركز قليلاً في التفاصيل كي تُيقين وجودهم، لم يسقط
الكوب من تلقاء نفسه، لسنا وحدنا نسكن هنا، أما بالنسبة
للشيء المُقابل الذي ستدفعه كي أجعلك حر، هو أن
تُخرج الآن، سأعيد وجهك كما كان ولكن عليك أن
تُحضر لنا مئات البشر الذين يهتمون بعالمنا مثلك،
ستتسلل بعد منتصف الليل أسفل فراشهم ومن ثم تمسك
بأقدامهم كي تأتي بهم إلينا، وعليك أن تتذكر شيء مهم
من كشف سِرنا وقد عرفه يجب عليك أن تُحضره لنا في

أسرع وقت، هزرتُ رأسي والدموع تسيل من عيني
الوحيدة تلك ومن ثم يتغير كل شيء وينقلب الفراش مرةً
أخرى كي أجدني في عُرفتي وجسدي كما هو تماماً،
أبكي وأبكي لأنني لا أعرفُ كيف أتصرف أو كيف
سأحضر مئات الأشخاص، مسحتُ ما نزل من عيني
وتنهدت وأتيتُ بهاتفي وفكرتُ في كتابة قصة أُجذب بها
القراء كي أتسلل لهم ليلاً لأخذهم إلي الأسفل، سامحوني
فلم يُساعدني أحد فأضطريتُ لفعل ذلك حتى يتم
تحريرتي، هكذا نحن البشر فضولين بدرجة ستُنهي
حياتنا تماماً، كالآن بالضبط، فسامحوني ..

3 - النبراس

- : قصة على لسان مُتابع :

وفور إرساله أول رسالة لي شعرت بأن هُنالك شيء مُختلف، حاولت ألا أسبق الأحداث ولكن رسالته نزلت عليّ كالصاعقة يقول بأنه قابل صديقي اليوم ويتمنى أن نتقابل كي يُخبرني بشيء هام، لم يُفز عني معرفته لرقم هاتفي الذي لم أُعطيه إلا لشخص أو شخصان بالكثير -ولم يكن صديقي منهم-، ما أفر عني حقاً أن صديقي هذا الذي يتحدث عنه قد مات منذ أكثر من عامين !!

لم أكثرث للأمر كثيراً وغدوت في النوم لإرهاقي الشديد، بالمُناسبة أنا فتاة ولستُ شاب وهذا حساب مُزيف لا يهّم الآن، بدأ النعاس يضرب رأسي فخلعتُ ملابسني لأرتدي ملابس النوم التي كان يُنهيني عنها أبي لاعتقاده بعدة خرافات مثل أن الأشباح يعشقن النساء العاريات أثناء نومهن وأن ذلك ليس مُحبب لدى الإله وبالمُناسبة أيضاً أنا فتاة تعتنق الدين المسيحي، سأدخل في الأحداث سريعاً حتى لا أضيع وقتك الثمين..

أثناء نومي تملك مني شبح كُل النساء يعرفن مَنْ يكون، نعم هو شبح "الجاتوم" تملك من جسدي بطريقة مُحكمة، أشعر وكأن جسدي بأكمله مُكبل، أريد الصُراخ ولكن دون جدوى؛ صوتي

مُنعدم، أريد تحريك أطرافي ولكنها مشلولة الحركة، عيني فقط مفتوحة والدموع تنزل منها بؤسً على حالي، "الجاثوم" كأنه موت مُصغر، تُشاهد إحتضارك بعين مفتوحة ولا تقوى على النهوض كي تُثبت أنك لم تمُت، خمسة عشر دقيقة على هذا الحال، لقد إنتهك "الجاثوم" جسدي أعصابي مُضطربة العرق ينصب على جبيني أنفاسي مُتقطعة، حاولت أن أكون بخير بعدما أفقت من هذا الكابوس ولكني أفرعني صوت أحدهم في عُرفتي .. المصابيح مُغلقة، أبحث عن هاتفي للإنارة ولسوء حظي تذكرت أنه ليس موجود في العُرفة، عليّ أن أتجراً وأنهض حتى أنير المصباح وبخطوات ثقيلة ومُرتجفة استطعت فعل ذلك، أنظر في أنحاء العُرفة ولم أجد شيء ! أطمئن قلبي قليلاً، عُدت كي أكمل نومي وكانت المُفاجأة هُنا، شخص يجلس على فراشي وينظر إليّ بعين يغلب عليها الانتقام، لم أستطيع الركض أو الهروب؛ قدماي وكأنها عاجزة عن الحركة وبحروف مُرتجفة قُلت: مَنْ .. مَنْ أنت؟ أبتسم وقال بصوت غليظ : أنا النبراس ! لم أفهم مقصده فقُلت : مَنْ ؟ نهض حينها من على فراشي وأقبل عليّ والخوف ينهش في، يسير من حولي وينظر إليّ من أعلى لأسفل بنظرات مُقرزة، أنا مَنْ حدثتُك اليوم عبر الإنترنت وأريد أن أعرض عليك إتفاق ولكن قبل الإتفاق يجب عليك أن تعرفي ما فعلتني في حق نفسك وجسدك، أنتِ دائمة البُكاء في المرحاض وتجلسين فيه أوقات طويلة، كثيرة الثرثرة والغناء، تنظرين في المرأة أكثر من

اللازم وتحققين في بؤرة عينك طول الوقت؛ يؤسفني القول
بأنك -بغير قصد أو بقصد- فعلتي طقوس تجعلنا نحضر إليك،
لا أريدك أن تفزعي فنحن في عالمنا جميع الطلبات مُجابهة،
سأنير طريقك حين يشتدُّ عليه الظلام، سأنتقم من الذين تركوك
وحدك، سأفعل لك كل شيء في مُقابل شيء واحد سنتفق عليه
الآن، سترسلين تلك القصة إلى مئات الأشخاص فقط هذا كل ما
عليك فعله !، نظرت إليه نظرة استنكار وقلت وبماذا سيفيدك
هذا ! أبتسم وقال قصتك عبارة عن عبرة ومن قرأها وعلم بأن
تلك الطقوس تجعلنا نحضر ومع ذلك فعلها فأظن بأنه سيصبح
ضحية جديدة يجب علينا أن نغتتمها ..

يجب عليّ أن أعتذر للجميع فلقد تم خداعكم بطريقة مُبتكرة لا
أظن بأن الجميع سيفهمها وهذا ما أريده بالضبط.
حاول أن تحبس أنفاسك لدقيقة أو اثنان ومن ثم قم بإخراج
أنفاسك دفعةً واحدة، هذا اللهث ستلهته بين حروفي وتعتقد بأنك
قد نجوت ولكن في الحقيقة هذا الباب الذي خرجت منه مؤدي
إلى الجحيم يا عزيزي كان معكم من يُنير الطريق بالأحرى
النبراس..

تمت..

الخاتمة :

" مَنْ يَسْعَى فِي حَرْقِ أَحْدَاثِ لِمُسْلَسَلٍ قَدْ شَاهَدَهُ مِنْ قَبْلِ، لَنْ يَمُوتَ مَوْتَهُ طَبِيعِيَّةً أَبَدًا"

لَمْ يَكْتَرِثْ صَدِيقِي لِحَدِيثِي وَأَصْرَ أَنْ يُكْمَلَ فِي حِكَايَةِ مُجْرِيَّاتِ الْمُسْلَسَلِ، وَبِرْغَمِ انْزِعَاجِي إِلَّا أَنَّهُ تَابَعَ وَقَالَ: أَنْظُرْ أَنْظُرْ سَيَمُوتُ الْبَطْلُ الْآنَ بَعْدَمَا ضَحَى بِحَيَاتِهِ مِنْ أَجْلِ الْبَطْلَةِ، سَتَسْكُنُ تِلْكَ الرِّصَاصَةَ فِي مُنْتَصَفِ رَأْسِهِ فِي مُحَاوَلَةِ لِانْقَاذِ الْبَطْلَةِ حَتَّى لَا تَخْتَرِقَ الرِّصَاصَةَ رَأْسَهَا. انْتَهَى مِنْ حَدِيثِهِ وَنَظَرَ إِلَيَّ بِابْتِسَامَةٍ تَصِلُ حُدُودَ أُذُنَيْهِ فِي انْتِظَارِ حَدُوثِ مَا قَالَهُ.

أَتَابَعَ أَحْدَاثَ الْمُسْلَسَلِ وَالْمَلَلُ يُحَاوِطُنِي بَعْدَمَا عَرَفْتُ الْأَحْدَاثَ الْقَادِمَةَ، يَقِفُ شَخْصٌ أَمَامَ الْبَطْلَةِ يَبْدُو أَنَّهُ الَّذِي سَيَقْتُلُ الْبَطْلَ، يُمَسِّكُ بِالْمُسَدَسِ وَيُشِيرُ بِهِ إِلَيْهَا، يُحْرِكُ سَبَابَتَهُ نَحْوَ الزِّنَادِ وَمِنْ ثَمَّ يُغَيِّرُ اتِّجَاهَ نَظَرِهِ، لِيَنْظُرَ إِلَيْنَا مِنْ خَلْفِ الشَّاشَةِ ! يَضْغَطُ عَلَى الزِّنَادِ حَتَّى تَسْتَكِينِ الرِّصَاصَةَ فِي مُنْتَصَفِ رَأْسِ صَدِيقِي الْجَالِسِ بِجَانِبِي...!

<https://www.facebook.com/Ahmed.Ramada>

[n.154](#)